الشعب الأذربيجاني
موجز السيرة والمسيرة

تأليف
برفيسور/ نظامي جعفروف

ترجمة وتقديم
د/ أحمد سامي العايدي

الشعب الأذربيجاني

موجز السيرة والمسيرة

تأليف

برفيسور/ نظامي جعفروف

ترجمة وتقديم

د/ أحمد سامي العايدي

مركز الترجمة الأذربيجاني

باكو - ٢٠١٧

الشعب الأذربيجاني (موجز السيرة والمسيرة). مركز الترجمة الأذربيجاني، باكو ٢٠١٧ – ٦٨ صفحة

ISBN 978-9952-503-41-8

© مركز الترجمة الأذربيجاني، باكو ٢٠١٧

مقدمة المترجم

مر الشعب الأذربيجاني عبر تاريخه الطويل بمراحل كثيرة كانت لها بالغ الأثر في تكوينه وتشّكله وصقل شخصيته حتى ظهرت بالصورة التي هو عليها الآن من ثقافة وتحضر ورقي. ولا شك أن تاريخ الشعب الأذربيجاني تاريخ ملئ بالأحداث والنجاحات التي لا يمكن حصرها من خلال كتاب موجز مثل هذا، ولكن الهدف من هذا الكتاب هو وضع خطوط عريضة للقارئ العربي يتعرف من خلالها على مسيرة الشعب الأذربيجاني منذ تشّكله مرورًا بالعصور المختلفة ووصولًا إلى الوقت الحاضر.

إن الفهم الحقيقي لأية أمة من الأمم ينبع من وجوب التحليق في تاريخها والوقوف على ما يمكن أن نسميه "المحطات الرئيسة" في مسيرة هذه الأمة. ومن هذا المنطلق جاءت فكرة هذا الكتاب الذي يتناول محطات أساسية لا غنى عنها في تاريخ الشعب الأذربيجاني من أجل التعّرف عن قرب على القيم المعنوية والأخلاقية والدينية لهذا الشعب.

وبالرغم من أن الشعب الأذربيجاني تعرض للاحتلال والاضطهاد والتقسيم في فترات كثيرة من تاريخه، ولا سيما في فترة الاتحاد السوفيتي، إلا أنه استطاع بكل جد الحفاظ على هويته الإسلامية وقيمه الأخلاقية والمعنوية الأصيلة. وهذا هو الذي يفسر لنا سر اهتمام أذربيجان بإعادة تدوين تاريخها من جديد دون تدخل من أي معتد أو من فرض أيديولوجية المحتل لأغراض تتماشى مع مصالحه كما كان في السابق، وهذا أيضًا يفسر لنا سر اهتمام أذربيجان بإعادة الوعي القومي لشعبها من خلال إعادة دراسة التاريخ الصحيح وإعادة دراسة الشخصيات التاريخية التي لعبت دورًا مميزًا في مسيرة تطور هذا الشعب.

لقد حققت أذربيجان إنجازات ملموسة في العالم، خاصة في العالم الإسلامي وعلى عدة مستويات، وسعت خلال ربع قرن مضى؛ أي عقب استقلالها عن الاتحاد السوفيتي السابق عام 1991م إلى الاحتفاء والاحتفال بالمناسبات والشخصيات التاريخية وذلك بإقامة المؤتمرات والاحتفالات والمهرجانات الدولية -داخل أذربيجان وخارجها-ونشر الكتب بالعديد من اللغات التي تتناول تلك المناسبات وتلك الشخصيات التاريخية المرموقة انطلاقًا من مبدأ **"من لا يعرف تاريخه، لا يمكن أن يفهم حاضره"**.

ومن هذا المنطلق جاءت الترجمة العربية لكتاب **"الشعب الأذربيجاني موجز السيرة والمسيرة"** عن اللغة الأذربيجانية بعد صدوره باللغتين الإنجليزية والروسية ليخط للقارئ العربي جزءًا-ولو قليل -من مسيرة الشعب الأذربيجاني عبر العصور المختلفة، إيمانًا من أذربيجان ممثلة في مركز الترجمة التابع لرئاسة مجلس الوزراء الأذربيجاني في ضرورة تعريف هذا القارئ بتاريخ جزء مهم وعزيز من العالم الإسلامي وهو أذربيجان.

وقد حرص مركز الترجمة التابع لرئاسة مجلس الوزراء الأذربيجاني على تزويد الترجمة العربية لهذا الكتاب القيم بصور لأهم الشخصيات الأدبية والتاريخية التي ورد ذكرها في الكتاب وكذلك بخرائط لأذربيجان في العصور المختلفة، وهذا ما لم يوجد في الأصل الأذربيجاني للكتاب أو الترجمات الأخرى له. وهذا أيضًا أمر يُحمد لهذا المركز المتميز الذي لا يكتفي بمجرد الترجمة، بل يهتم أيضًا بإصدارها في أبهى صورة. كما جاءت النسخة العربية مزدانة بعدد من الهوامش الإيضاحية والتي خلت منها الترجمات الأخرى.

كما سعى مؤلف الكتاب العالم الأذربيجاني الشهير البرفسور/ نظامي جعفروف عضو البرلمان الأذربيجاني عبر صفحات هذا الكتاب إلى تقديم موجز لتاريخ تشَّكل الشعب الأذربيجاني والتعريف بالأعراق التي تكوّن منها، وكذلك نضال الشعب

الأذربيجاني في سبيل حصوله على الاستقلال، ونهضة أذربيجان ونتائجها، وإقامة الجمهورية الشعبية الأذربيجانية عام 1918م واستمرارها ثلاثة وعشرين شهرًا فقط، ثم إقامة جمهورية أذربيجان المستقلة الحالية.

وفي الختام أتمنى أن تكون ترجمة كتاب **"الشعب الأذربيجاني موجز السيرة والمسيرة"** للغة العربية إضافة معرفية للقارئ العربي تتيح له التقرب إلى الشعب الأذربيجاني الشقيق والاطلاع على مسيرته أو "سيرته الذاتية" وجهوده في خدمة العالم الإسلامي.

د/ أحمد سامي العايدي

مقدمة المؤلف

يبدو جليًّا منذ زمن بعيد أن ثمة حاجة ماسة إلى إعادة تدوين "سيرة ذاتية" للشعب الأذربيجاني، تكون صورتها مكتملة في الأذهان وواضحة للجميع، وتتجسد فيها الخطوط العريضة لتاريخه. ومن الطبيعي أن يكون في "سيرة ومسيرة" أي شعب أو أي شخص بعض الأمور المعقدة أو المثيرة للجدل. ولكن يوجد في تلك "السيرة" أو "التاريخ" خطوط عريضة أو مؤشرات تُجبر أي شخص على التسليم بها؛ فعلى سبيل المثال، إن تشكيكًا في أن الشعب الأذربيجاني تركي الأصل، أي أنه شعب ظهر من عباءة انقسام الأتراك تاريخيًّا، يعني أنه من الممكن التشكيك في أن شخصيات عظيمة مثل: "نظامي الغنجوي"[1]، و"محمد فضولي"[2]، و"مولا بناه واقف"[3]، وحتى "ميرزا على أكبر صابر"[4]، و"حسين جاويد"[5]، و"صمد ورغون"[6] أذربيجانية الأصل... أو يعني أيضًا إنكار أن بعض شعوب القوقاز أو الشعوب

---

[1] **نظامي الغنجوي (1141 – 1209م):** أشهر الشعراء الأذربيجانيين،وأهمهم، ولد في مدينة غنجة الأذربيجانية. أهم أعماله عبارة عن ديوان مكون من خمس منظومات يسمى "خمسة". (المترجم)

[2] **محمد فضولي (1494 – 1556م):** شاعر أذربيجاني شهير. عاش في العراق، وألف أشعاره بثلاث لغات: التركية والعربية والفارسية، أهم منظوماته الشعرية "ليلى والمجنون". (المترجم)

[3] **مولا بناه واقف (1717 – 1797م):** شاعر أذربيجاني كبير اشتهر في القرن الثامن عشر. تتميز أشعاره بالواقعية والميل للأدب الشعبي. له العديد من الغزليات. (المترجم)

[4] **ميرزا على أكبر صابر(1862 – 1911م):** هو مؤسس الشعر الأذربيجاني الحديث؛ تميزت أشعاره بأسلوب الهجاء والسخرية. (المترجم)

[5] **حسين جاويد (1882 – 1941م):** شاعر وكاتب مسرحي أذربيجاني نال شهرة واسعة، ومن أهم كُتّاب الأدب الأذربيجاني الحديث (المترجم).

[6] **صمد ورغون (1906 – 1956م):** من أشهر الشعراء الأذربيجانيين في القرن العشرين حصل على جائزة "لينين" بالاتحاد السوفيتي السابق مرتين. (المترجم)

الفارسية الأصل التي قطنت أذربيجان منذ قديم الأزمان، ودخلت تدريجيًّا ضمن تركيبة الشعب الأذربيجاني تركية الأصل هي جزء لا يتجزأ من الشعب الأذربيجاني. أو على الأقل يعني هذا عدم معرفة المبادئ العامة لتاريخ تكون الشعوب أو الاعتراف بها. وهذا الكلام يعني مثلًا أن الشعب الأوكراني يتكون من العرق السلافي فقط، وأنه لم يكن للأجناس الأخرى مثل الجنس التركي أي دور في تكوين هذا الشعب.

لقد استمر تاريخ تكوين الشعب الأذربيجاني على مر العصور شأن أي شعب آخر. وقد بدأت هذه العملية منذ العصور الأولى للميلاد، وانتهت في أواخر القرون الوسطى وأوائل العصر الحديث، أي في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين. ومن الأهمية بمكان من أجل الوعي التام لمسيرة "ماهية" تاريخ تكوين أي شعب، وكذلك الشعب الأذربيجاني الأخذ في الاعتبار عمليات الانفصال والاندماج المرتبطة بالآخرين في المراحل المختلفة لهذا التاريخ.

هذا الانفصال يعني أن الشعب الأذربيجاني ظهر كفصيل انقسم عن العرق التركي، كما هو الحال، في ظهور الانجليز من اتحاد بعض الألمان وظهور الفرنسيين من تجمع لبعض الرومان، وظهور الروس من تكتل للعرق السلافي. ولكن نكرر مرة أخرى أن هذه العملية في جميع الأحوال ترتبط ببعض العوامل الطبيعية والجغرافية والاجتماعية والسياسية. ومن أجل فهم صعوبة هذه القضية يكفينا القول إنه بجانب انقسام العرق التركي إلى طوائف "الأوغوز"[7]، و"القبشاق"[8]، و"القارلوق"[9]، فسوف تستمر عملية الانقسام إلى طوائف وجماعات سوف تشكل نواة الشعوب التركية في العهود التالية؛ لذلك فإن كون الشعب الأذربيجاني ينتسب إلى طائفة "الأوغوز" لا يعني بالضرورة وجود آثار لطوائف "القبشاق"، و"القارلوق"

---

[7] **الأوغوز أو الغز:** (وهو مصطلح لغوي يطلق على اللغات التركية الغربية أو الاوغوزية من عائلة اللغات التركية) هو تحالف أو اتحاد قبلي تركي اصطلح على تسميته بـ"دولة اوغوز" في آسيا الوسطى خلال فترة العصور الوسطى المبكرة. (المترجم)

[8] **القبشاق:** هي إحدى ممالك المغول الكبرىالتي كانت تمتد من تركستان شرقاً إلى شمال البحر الأسود غرباً. (المترجم)

[9] **القارلوق:** قبائل تركية رحل، تقيم في جبال ألتاي في آسيا الوسطى. (المترجم)

في تكوينه. كذلك لا يعني كون الشعب الأوزبكي ينتسب إلى طائفة "القارلوق" أن في تركيبته آثار لطوائف "الأوغوز" و"القبشاق".

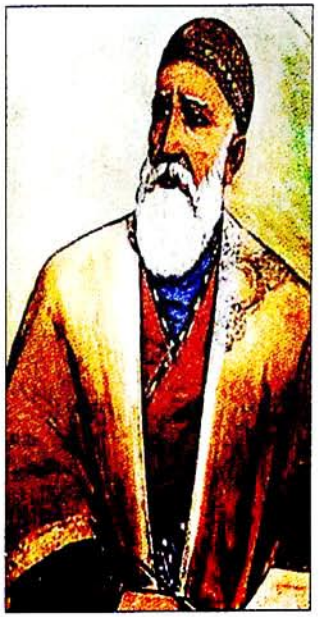

الشاعر الأذربيجاني محمد فضولي

الشاعر الأذربيجاني الكبير نظامي الغنجوي

إن عملية اندماج الشعوب تكون أكثر تعقيدًا من عملية الانقسام؛ فعملية الانقسام يمكن أن تتعمق وتأخذ شكلًا أكثر اتساعًا؛ ونتيجة لذلك يظهر مشهد مختلط إلى حد ما لهذا الاندماج، حتى ولو كان لطوائف تعود إلى نفس العرق. وكما

أن جميع الطوائف التركية الأساسية يمكن أن تشترك في تركيب أي شعب تركي بشكل أو بآخر، فإن هناك طوائف تركية تكون مسارًا للجدل من ناحية انتسابها لأي شعب من الشعوب التركية الأخرى، في حين أننا ندعي حاليًا أن عملية الانقسام أو الاندماج قد انتهت، وأن الشعوب التركية المستقلة قد انتهت بالفعل. فعلى سبيل المثال، فإن بعض الطوائف مثل: "القارلوق"، و"الأفشار"، و"البايات"، و"القاجار"، و"التركمان" تُعد جزءًا من تركيبة الشعب الأذربيجاني، وكذلك يُدعى أنها مستقلة عرقيًا ... وهذا الأمر طبيعي بالنسبة للأجناس التي لم تكن من أصل تركي، وتعتبر نفسها جزءًا من تركيبة أحد الشعوب التركية، وفي الوقت ذاته تدعي أنها مستقلة عرقيًّا.

ولكن لن نولي اهتمامًا خاصًّا بالقضايا الفرعية، وسوف نسعى إلى استعراض تاريخ الشعب الأذربيجاني أو سيرته الذاتية من خلال الخطوط العريضة والمؤشرات العامة.

الفصل الأول
تشكُّل الشعب الأذربيجاني

يعد الشعب الأذربيجاني أحد الشعوب التركية التي تشغل مساحة جغرافية كبيرة من العالم؛ فتاريخ تشكُّل الشعب الأذربيجاني يمثل جزءًا من تاريخ انقسام العرق التركي أو الجنس التركي؛ لذلك فإنه من المؤسف أن يسعى بعض المؤرخين إلى دراسة هذين التاريخين[1] بعيدًا عن بعضهما بعضًا، بل يذهبون إلى أبعد من ذلك، ويسعون إلى إعداد "منهجية" تنزل الأتراك في منزلة أنهم "ضيوف" على تاريخ أذربيجان.

وبصفة عامة، يجب أن تتوفر ثلاثة شروط من أجل تشكُّل الشعب:

1. القدرة العرقية.
2. الجغرافيا أو الأرض الخصبة.
3. إمكانية التنظيم الاجتماعي والسياسي.

لقد "ضمنت" النشأة التركية القدرة العرقية للشعب الأذربيجاني أو وضعت له أساسه. أما عن موضوع الجغرافيا أو الأرض، فتضم هذه المنطقة كل من "القوقاز الجنوبية"، و"أذربيجان التاريخية" (شمال إيران) و"شرق الأناضول". وكان من الصعب دائمًا إنشاء وحدات اجتماعية وسياسية تستمر طويلاً في هذه الجغرافيا التي عاشت حياة منتعشة ونشطة منذ أقدم العصور. ويوضح المشهد العرقي والثقافي المعاصر للمنطقة أن الأجناس المختلفة والأديان والرؤى والثقافات التي تتميز عن بعضها بعضًا قد حلت إلى هذه المنطقة بشكلٍ متتالٍ.

إن استمرار عملية انقسام الجنس التركي على مر العصور واتساع هذه الجغرافيا وامتلائها بالأحداث العرقية والسياسية أثر تأثيرًا حادًّا على عملية تشكيل الشعب الأذربيجاني؛ حيث إن:

---

[1] تاريخ الانقسام ثم تاريخ التشكيل.

أ. امتداد هذه العملية التي بدأت من العصور الأولى للميلاد استمرت لفترة طويلة حتى نهاية العصور الوسطى وبدايات العصر الحديث (حتى القرن السادس عشر والسابع عشر).

ب. لم تكن هناك عمليات هجرة تلفت الأنظار من هذه المنطقة إلى خارجها، ومع ذلك ظهرت عمليات هجرة مكثفة واستقرار متتالٍ في هذه المنطقة.

ج. بسبب التغير المستمر لمراكز القوى الاجتماعية والسياسية، وكذلك المعنوية والأيديولوجية التي هي ضرورية لتشكُّل الشعب، ظهر نقص واضح في هذا الأمر.

اشتق الاسم الجغرافي لـ "أذربيجان" من كلمة "أتروباتينا" اليونانية الأصل. وقد تحولت هذه الكلمة التي تُكتب في المصادر الفارسية "أدورباداجان" إلى "أذربيجان" في النطق العربي الإسلامي. وقد تغير معنى اسم "أذربيجان" من دولة "أتروبات" إلى "أرض النار"، واتسع مضمونها ليصبح اسمًا يضم جميع أراضي أذربيجان "وشعبها".

أولا: الأتراك: التقسيم وإعادة التشكيل

يرجع ظهور الأتراك كجنس مستقل إلى نهاية الألفية الرابعة وبدايات الألفية الثالثة قبل الميلاد. وظل الأتراك حتى تلك الفترة داخل تركيب عرقي يضم اتحادًا بين المغول مع التونجوس والمنجور والآلطاي.

أما مسقط رأس الأتراك الذين ظهروا مع ظهور فكرة "الوحدانية الإلهية" طبقًا للرؤية العالمية الأسطورية الثرية، فقد كان سفوح جبال طانرى (أي الإله) الموجودة في آسيا الوسطى. وبدأوا تدريجيًا في الانتشار في الأراضي الخصبة نحو الجنوب، والغرب والجنوب الغربي. وبدأت الطوائف التركية لا سيما في العصور الأولى للميلاد في التأثير الجاد والمؤثر في تاريخ شعوب آسيا، وكذلك أوروبا. وبالفعل، يتحدث بعض المؤرخين عن حملات الأتراك في العصور القديمة إلى الغرب – أثينا، وإلى روما، وكذلك حول استقرارهم هناك. لذلك يشير قليل من المتخصصين إلى وجود أثر للأتراك عند السومريين القدامى؛ حيث يبدأ تاريخ المنطقة بالتأريخ لهم. ولكن ظلت هذه "الأحداث" قديمة لدرجة أنها توضح أحداثًا قليلة للغاية يمكن قبولها دون جدال من أجل إعطاء تصور قديم لبعض الشعوب المعاصرة.

لقد قطن الأتراك (الهون) الذين اتجهوا نحو الغرب في نهاية العصر القديم وأوائل القرون الوسطى إلى أوروبا الشرقية. وأنعش اتحادهم مع الجرمن (الألمان) والسلافيين الذين كان يُسمون بـ "بربر" أوروبا التي كانت قد قضت على الإمبراطورية الرومانية، وأصيبت بالشيخوخة آنذاك.

وبدأت المسيحية تنتشر، وكذلك الثقافة، التي تحملها دون أي عوائق. وقد سارت هذه العملية في سنوات حكم "آتيلا" بشكل أسرع، وأثبتت الدور التقدمي الذي نهض به الأتراك في تاريخ العالم.

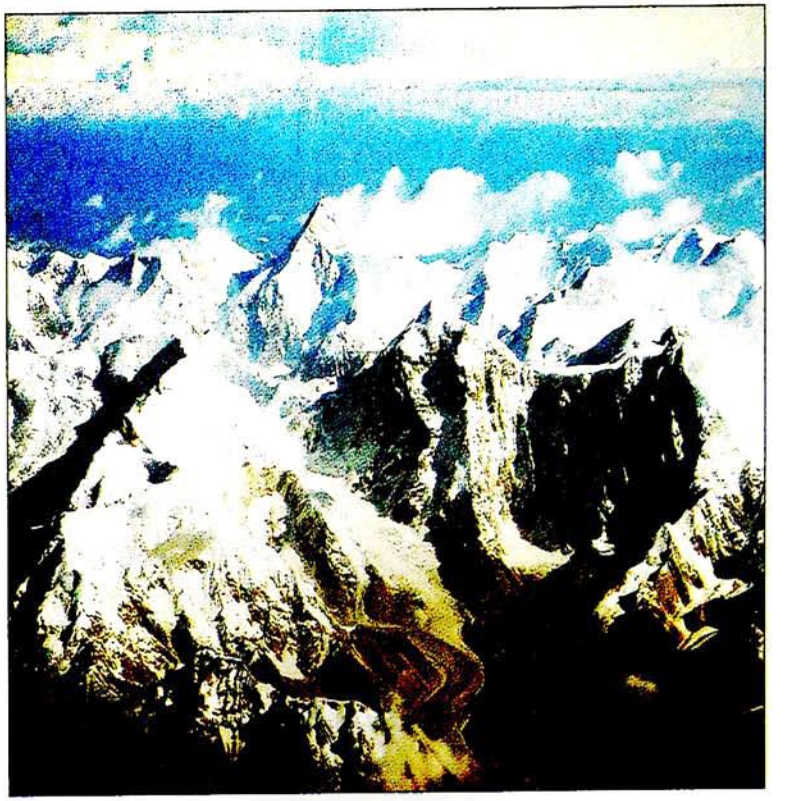

سفوح جبال طانرى (أي الإله)

لذلك توجد حتى يومنا هذا بصمات للأتراك - لا يمكن إنكارها - في التركيب العرقي لبعض شعوب أوروبا الشرقية، وكذلك الغربية. ويجب أن نأخذ في اعتبارنا أن الزحف التركي نحو أوروبا الغربية لم يتوقف مطلقًا في أي وقت، واستمر حتى منتصف القرون الوسطى.

إن الأتراك-الذين انتشروا تدريجيًا من سفوح جبال "آلطاي" متجهين نحو الجنوب والغرب والجنوب الغربي-انقسموا فيما بين القرنين التاسع والحادي عشر الميلاديين إلى اتحاد ثلاث طوائف كبرى أو إلى ثلاثة اتحادات عرقية جغرافية.

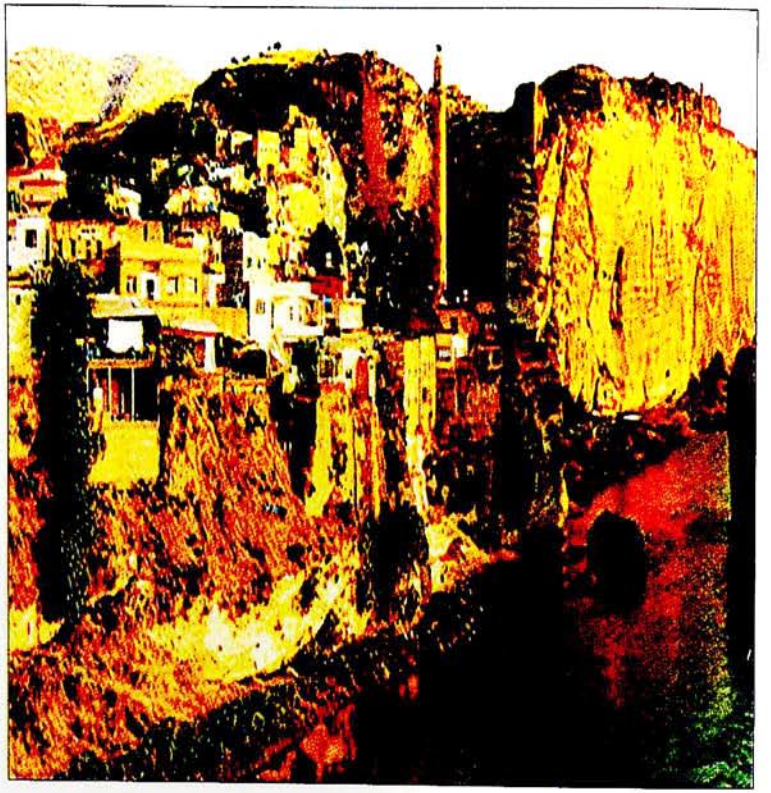

منطقة شرق الأناضول

1) الأوغوز
2) القبشاق
3) القارلوق

كان هذا هو أول انقسام للأتراك، وقد استمر هذا الانقسام لفترة قدرت بألف سنة.

وفي حالة الاستيلاء على آسيا الوسطى- جبال الألطاي بوصفها نقطة انطلاق، فقد اتجه الأوغوز إلى أقاصي الجنوب الغربي، واتجه "القبشاق" نحو

الشمال الغربي، أما القارلوق فقد انتشروا نحو الجنوب. وبجانب انقسام الأتراك إلى "الأوغوز"، و"القبشاق"، و"القارلوق"، فقد بدأت عملية انقسام داخل هذه الطوائف قبل أن تتم عملية الانقسام الأولى، واستمرت هذه العملية حتى أواخر القرون الوسطى.

وعلى هذا، كان القرنان التاسع والحادي عشر الميلاديين فترة في تاريخ الأتراك، انتهى فيها الانقسام الأول، وبدأت مظاهر الانقسام الثاني في الظهور؛ أي من ناحية يوجد بها "الأوغوز"، و"القبشاق"، و"القارلوق"، ومن ناحية أخرى، ظهرت "نواة" الشعوب التركية المعاصرة.

انقسم "الأوغوز" في الأصل إلى التركمان وإلى أتراك أذربيجان والأناضول، وانقسم القبشاق إلى "الألطاي"، و"القيرغيز"، و"القازاق"، و"التتار"، و"الباشقيرد". أما "القارلوق" فانقسموا إلى "الأوزبك"، و"الأويغور". كما حافظ الأتراك على بعض الصفات العامة، وهم ينفصلون عن اتحاد "الألطاي"، تواصل الشعوب التركية المحافظة على الخصائص العامة للترك.

لذلك، مع أن الشعب الأذربيجاني ينتهي في الأصل إلى أتراك الأوغوز، فهو يحمل الجينات العرقية والثقافية لعموم الترك.

ثانيا: تتريك أذربيجان
وبداية تشكُّل الشعب الأذربيجاني

يمكن القول إنه لا توجد معلومات وافية بشأن المشهد العرقي القديم لأذربيجان. وللأسف لا يمكن في علم تاريخ أذربيجان القطع بمعلومات حول أي الشعوب التي سكنت أذربيجان في تلك الفترات من بين العديد من أسماء الشعوب مثل "آراتا" (Aratta)، ومانّا (Manna)، و"ميديا" (Midiya)، و"أتروباتن" (Atropatena)، و"ألبانيا" (Albaniya). ويستطيع المؤرخون بنجاح الحديث عن وجود شعوب القوقاز وإيران أو الترك في أذربيجان القديمة؛ لذلك السبب من الأنسب الحديث عن التاريخ الحقيقي لتتريك أذربيجان بدلاً من تناول الموضوعات محل الخلاف حول أذربيجان في فترة ما قبل الميلاد.

M.F.Axundov adı... Azərbaycan Mil... Kitabxanası

وعند ذكر "فترة ما قبل الميلاد"، نقصد تاريخ أذربيجان حتى بداية التاريخ الميلادي، وهو يشمل ملايين السنين. ولو استعرضنا تسلسل تاريخ الثقافة القديمة لأذربيجان، سوف نجد آثارًا جلية لجهد الإنسان وذكائه في تلك الفترة منذ أقدم العصور؛ فالمناطق السكنية الكثيرة جدًّا وشديدة القدم التي اكتُشفت بصفة عامة في شمال أذربيجان وجنوبها مثل "مغارة آزيخ"، و"قويستان"، و"جميقايا الصخور" المكتوب عليها، كل هذا يثبت أن أذربيجان واحدة من مناطق العالم التي ظهر فيها الإنسان قديمًا. أما الألفيات الأخيرة قبل الميلاد فهي مليئة بالحقائق التي تُثبت وجود ثقافة المدينة القديمة في تلك المنطقة.

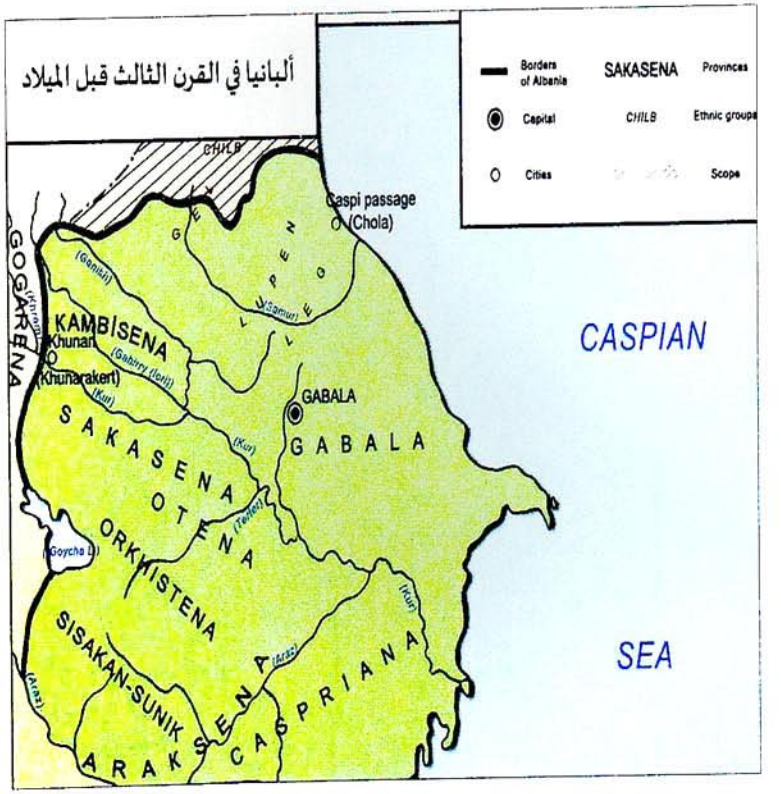

تذكر المصادر التاريخية أكثر من عشرة أسماء لشعوب عاشت في تلك المنطقة، ولكن هذه الأسماء لا تعبر عن شيء واضح.

كان الأتراك الذين قدموا لأذربيجان في العصور الأولى بعد الميلاد هم "الهون" الذين نزحوا من مناطق "الآلطاي" نحو غرب أوروبا. كان هؤلاء يعبرون جبال القوقاز، ويتحركون على شكل جماعات كبيرة من الشمال نحو الجنوب، ويقطنون أذربيجان. واستمرت هذه العملية طيلة مئات السنين. ولمعرفة سبب هذا التحرك أو دوافع توالي هذه التحركات وقوتها، يكفي فقط التذكير بأن إيران ثم حكام العرب اضطروا لبناء السدود المختلفة، ولا سيما سد "دربند" (في أذربيجان) من أجل التصدي لتوافد الأتراك أفواجًا أفواجًا من الشمال إلى الجنوب، ولكن لم يستطيعوا التصدي لهذا الزحف التاريخي الطبيعي. ومع أن أتراك الهون عبروا جبال القوقاز، ونزحوا نحو الجنوب، فقد كانت المنطقة الأساسية التي استقروا فيها هي شمال أذربيجان (ألبانيا).

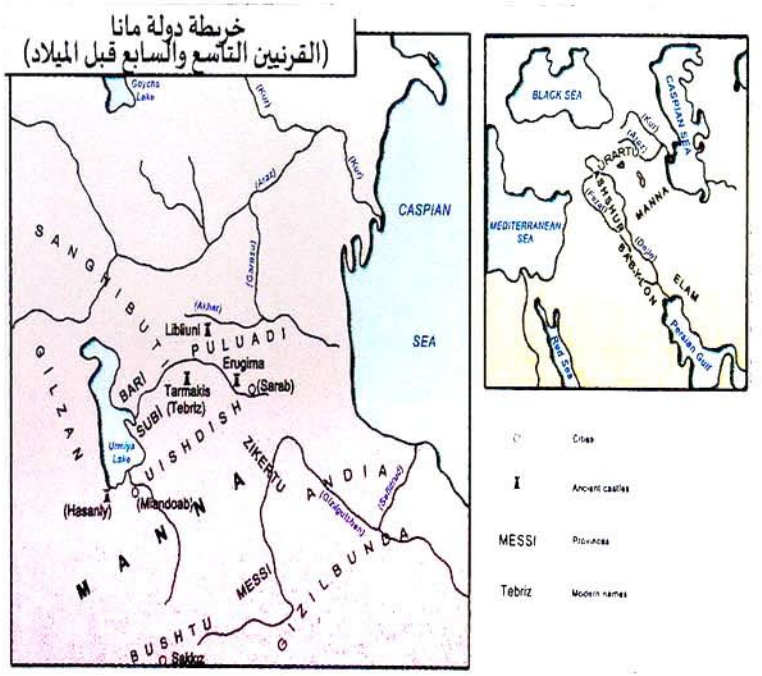

خريطة ألبانيا فيما بين القرنين
الخامس والثامن

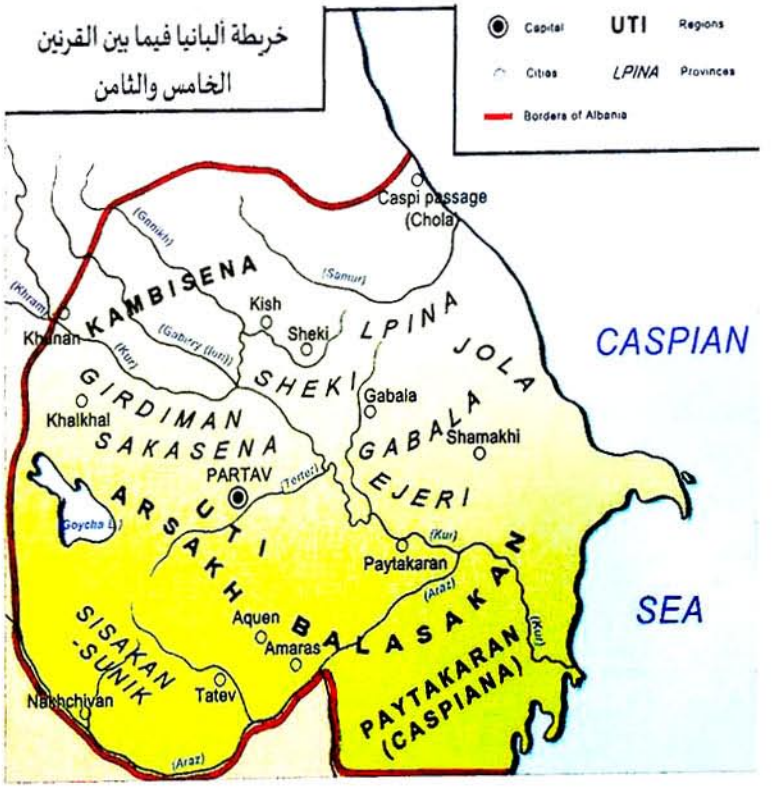

لم يمض كثير من الوقت حتى أن "قبشاق الهون" المعتقدين بوجود إله تحولوا إلى سكان محليين في تلك المنطقة.

ولكن لم يقطع هؤلاء العلاقة مع أجدادهم الموجودين في "أوروبا الشرقية" (دشتى القبشاق)؛ أي أنه حدثت عمليات توافد جديدة للأتراك إلى تلك المنطقة. وبدأ "القبشاق" أيضًا في أذربيجان مثل المتواجدين بـ (دشتي القبشاق) في اعتناق المسيحية بجانب المحافظة على عقيدة الإيمان بوجود إله.

وهناك حقيقة يجب الإشارة إليها بشكل خاص (تشير المصادر الأرمينية والجورجية الخاصة بتلك الفترة إلى هذا أيضًا) هي أنه لم توجد أي قوة اجتماعية أو

سياسية في الألفية الأولى بعد الميلاد كانت تستطيع أن تتصدى لأتراك "القبشاق" في جنوب القوقاز. وعلى الرغم من أن الطوائف التي شكلوها أي (أتراك القبشاق) لم تستمر فترة طويلة، فقد ضموا جميع سكان المنطقة تحت حكمهم. والسبب الأول في هذا هو أنهم كانوا كثرة من حيث العدد، بجانب أن الطوائف التي قدمت من الشمال كانت تزيد من أعدادهم تدريجيًا. أما السبب الثاني، فهو أنهم كانوا يمتلكون خبرة قتالية كبيرة، وقدرة عسكرية مميزة.

خريطة ألبانيا القوقازية القديمة

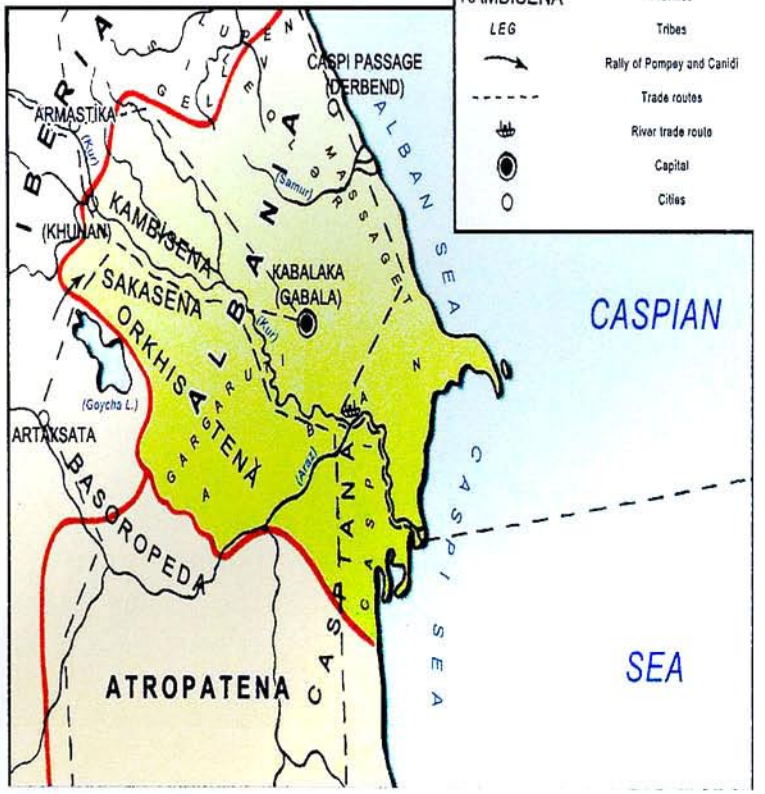

إن شعوب القوقاز المحليين، وكذلك الشعوب ذات الأصول الفارسية من غير المحليين، وحتى الساسانيين الذين احتلوا القوقاز الجنوبية والعرب قد واجهوهم وتصدوا لهم أيضًا.

كانت تركيبة الهون مختلفة؛ حيث كانوا يتحدثون لهجات مختلفة للغة التركية. وتذكر المصادر أسماء طوائف مثل "صوار" (Suvar)، و"الخزر" (قاسبي) (Xezer)، و"أوتوجور" (Onoqur)، و"هيلاندور" (Haylandur) و"كنجر" (Kenger)، و"بلغار" (Bulqar). علاوة على أن أتراك "القبشاق"، كانوا يتمركزون في مواقع حيوية. فقد جمعوا تحت إدارتهم طوائف الترك المختلفة المذكورة في المصادر التاريخية، وحكموهم حكمًا تامًا في القوقاز الجنوبية خلال القرن السادس والسابع الميلاديين.

مغارة آزيخ

كان اليونانيون هم أحد منافسي، بل ربما المنافس الأول، للأتراك الذين قطنوا جنوب القوقاز في القرون الأولى بعد الميلاد، لقد سعى اليونانيون الذين احتلوا الأناضول بالكامل إلى السيطرة على القوقاز. سيما عقب انتشار المسيحية، فقد قويت مراكزهم في القوقاز وآسيا الصغرى. إن التدخلات العسكرية والسياسية للساسانيين أولاً، ثم للعرب في جنوب القوقاز أعاقت بشكل حاسم اليونانيين– البيزنطيين– في الانتشار من الأناضول إلى الشرق. ونتيجة لهذه الهجمات والتدخلات تجمعت شعوب القوقاز أولاً، ثم الشعوب الفارسية من أجل العيش في الجبال والصحاري الساحلية غير الملائمة بالشكل الكافي. أما أتراك القبشاق فكانوا يسكنون سفوح الجبال أو الصحاري التي تتماشى مع أساليب حياة عموم الأتراك. ويظهر المشهد العرقي لأذربيجان هذا.

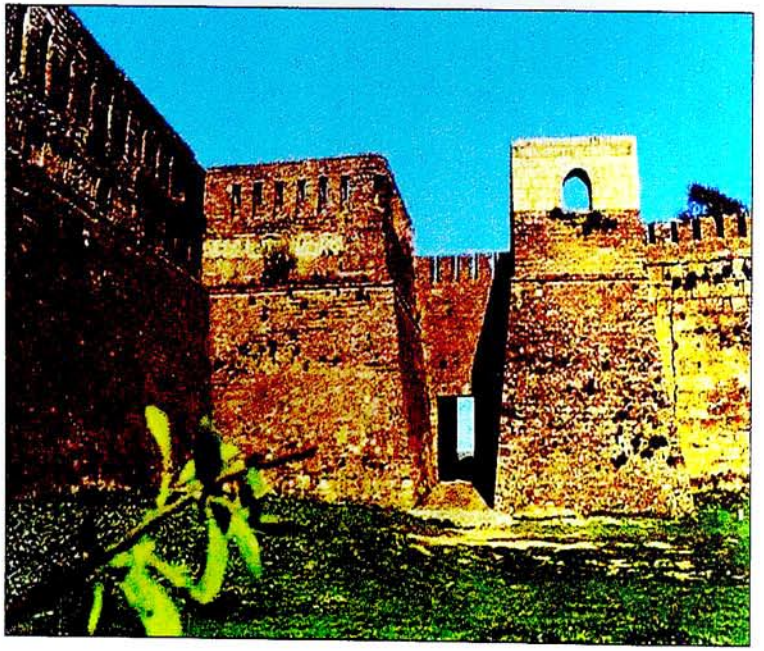

سد دربند

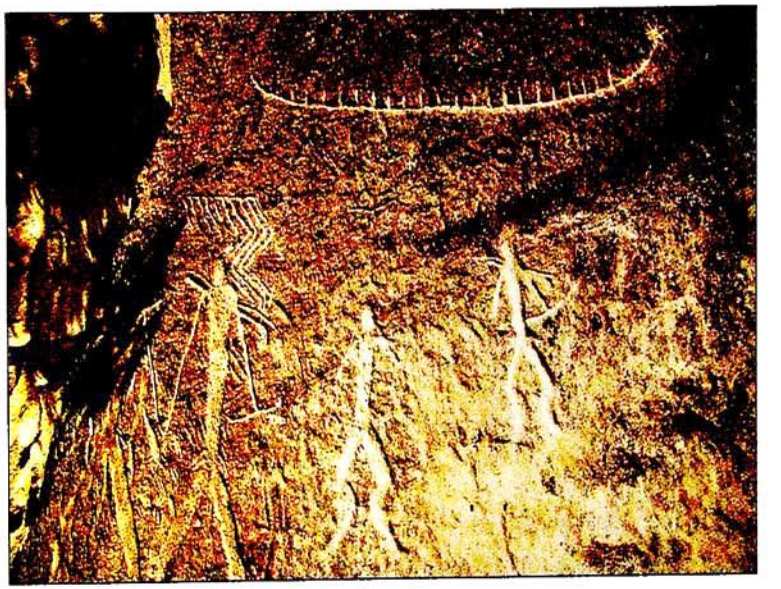

قوبستان

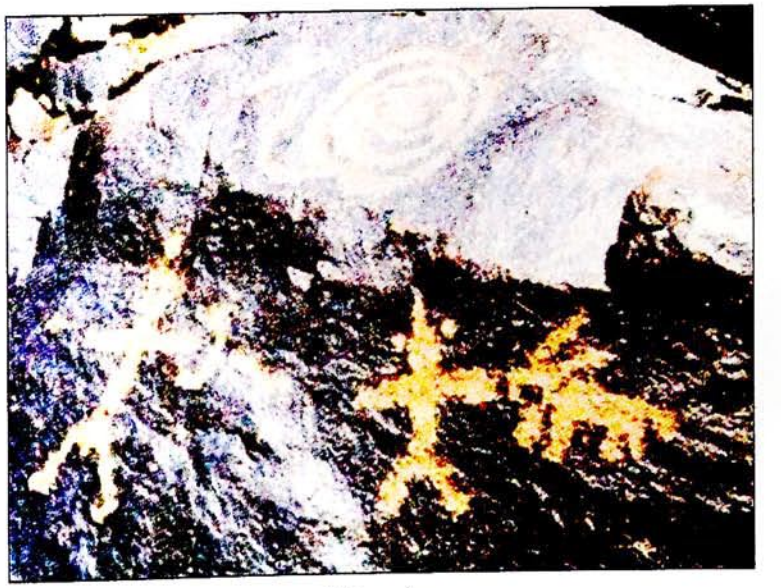

جبل جميقايا

وتثبت المصادر التاريخية حقيقة انتقال "أتراك الهون" الذين كانوا يسكنوا أكثر من شمال أذربيجان أي (القوقاز الجنوبية) إلى جنوب أذربيجان (أي أذربيجان التاريخية) بأعداد كبيرة سيما في أوائل القرون الوسطى.

وعلى هذا، فإن أساس تتريك أذربيجان (وتشكُّل الشعب الأذربيجاني)، ثم وضعه الحالي، أتى من خلال نزوح أتراك الهون و"القبشاق" إلى القوقاز (ومن هناك إلى الجنوب).

ثالثا: القبشاق
سلاجقة الأوغوز، وأذربيجان

بداية من القرون الأولى بعد الميلاد، أحكمت حملات سلاجقة الأوغوز التي تكثفت تدريجيًّا فيما بين القرنين التاسع والحادي عشر قبضتها على الموقع الاثنوجرافي للأتراك (القبشاق) الذين سكنوا أذربيجان. وكانت هذه الحملات (التي استمرت حتى نهاية القرون الوسطى) تتجه بداية من وسط آسيا مرورًا بجنوب الأوغوز وصولاً إلى الأناضول، وتتخذ طابعًا عسكريًّا وسياسيًّا خلافًا لحملات "قبشاق الهون".

في حين أن ثقافة القبشاق كانت تعتمد أكثر على الإبداع الشفهي ونظام حياة الترحال، فقد كانت ثقافة الأوغوز تعتمد على الإبداع المكتوب، وحياة الاستقرار، ونظام المدن.

وثمة فرق آخر، هو أن "سلاجقة الأوغوز" قد اعتنقوا الدين الإسلامي بالفعل، واتخذوا شكلًا منظمًا جيدًا. وكانت اللغتان العربية والفارسية تتمتعان بسطوة كبيرة، في قصورهم بجانب اللغة التركية؛ لأن أمراء سلاجقة الأغوز كانوا لا يعتبرون أنفسهم أتراكًا فحسب، بل عربًا وفرسًا وأتراكًا أيضًا؛ أي أنهم كانوا يعتبرون أنفسهم ورثة العالم الإسلامي بأسره.

بدأ سلاجقة الأوغوز الذين أسسوا دولة "الأتابكة" في أذربيجان في إظهار قوتهم الحماسية تدريجيًّا إلى الأناضول؛ أي إلى البيزنطيين. واستولوا على مساحة كبرى من الأراضي فيما بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر الميلاديين. وأسسوا دولتهم. واستمر فتح الأناضول (أي إسطنبول بعد ذلك) بعد القرن الثالث عشر في عصر العثمانيين.

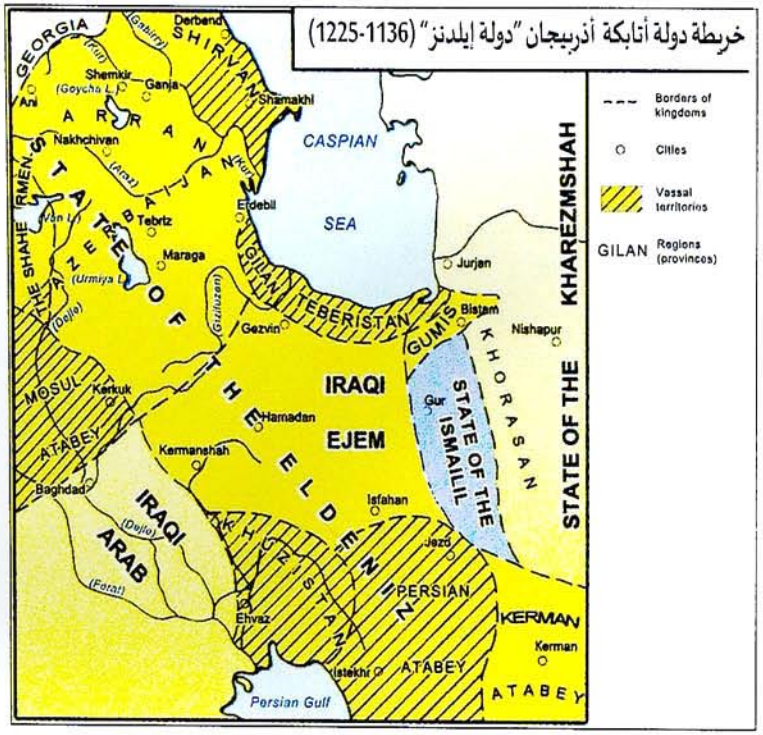

وتعد ملحمة "ده ده قورقود"[1] أهم مصدر تاريخي وأدبي يجسد المهمة التاريخية لسلاجقة الأوغوز في أذربيجان (وكذلك في شرق الأناضول). تقدم هذه الملحمة بتفاصيل وتفرعات واضحة للفترة الثانية من تتريك أذربيجان (وشرق الأناضول). ومن الجدير بالذكر أننا نرى أن "الأتراك القبشاق" غير المسلمين الذين تحولوا إلى سكان محليين أمام الأوغوز الذين زحفوا إلى المنطقة، وكذلك اليونانيين الموجودين بعيدًا عن المنطقة (في الغرب)، تولد لديهم رؤية موضوعية حول التركيب العرقي للمنطقة.

[1] ملحمة "ده ده قورقود": هي أقدم ملحمة أسطورية معروفة لدى أتراك الأوغوز. وأقدم أدب شعبي لدى الأذربيجانيين. وتتكون هذه الملحمة من اثنتي عشرة حكاية ومقدمة طبقًا لنسخة مكتبة "درسدن". ويرجع تاريخ هذه الملحمة إلى القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين. (المترجم)

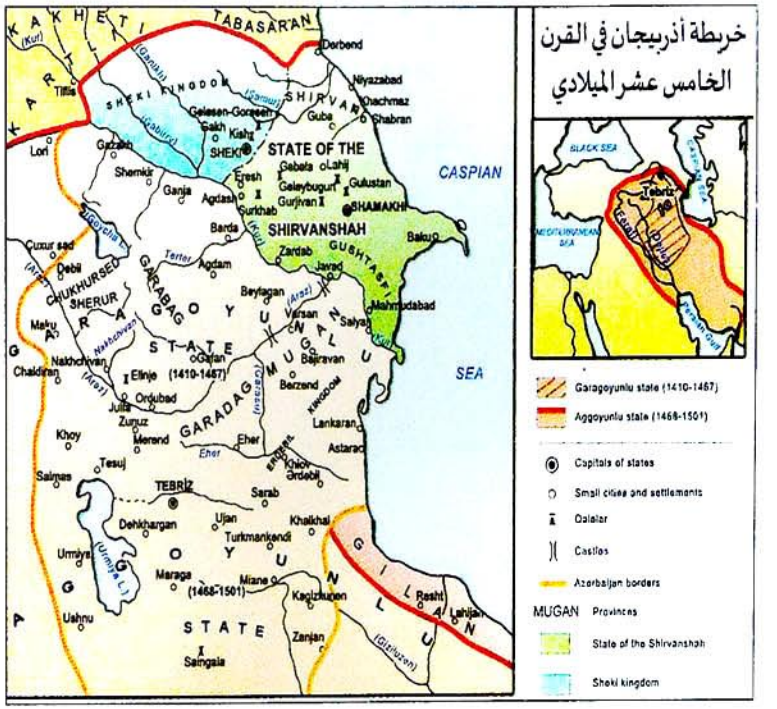

إن المعلومات الموجودة بالمصادر الأرمينية، وكذلك الجورجية بشأن وجود الأرمن أو الجورجيين في جنوب القوقاز في نهاية الألفية الأولى وبداية الألفية الثانية (أي فيما بين القرنين التاسع والحادي عشر) تدعو إلى الريبة، ولا تُعد هذا المعلومات سوى مجرد ادعاءات لا أساس لها من الصحة.

لم يواجه انتشار أتراك "سلاجقة الأوغوز"، سواء في جنوب أذربيجان، أو شماله، أي عوائق تذكر. لكن كما ذكرنا من قبل، يمكن الحديث عن مقاومة لم تستمر طويلًا لأتراك القبشاق في الشمال فقط. وعلاوة على ذلك، يجب الأخذ في الاعتبار أنه بسبب أن الاتجاه الأساسي لحملات الأوغوز السلاجقة كان نحو الغرب– أعماق الأناضول، فإن الاتجاه الجنوب الغربي، أو الشمال الغربي لم يكن له أهمية استراتيجية.

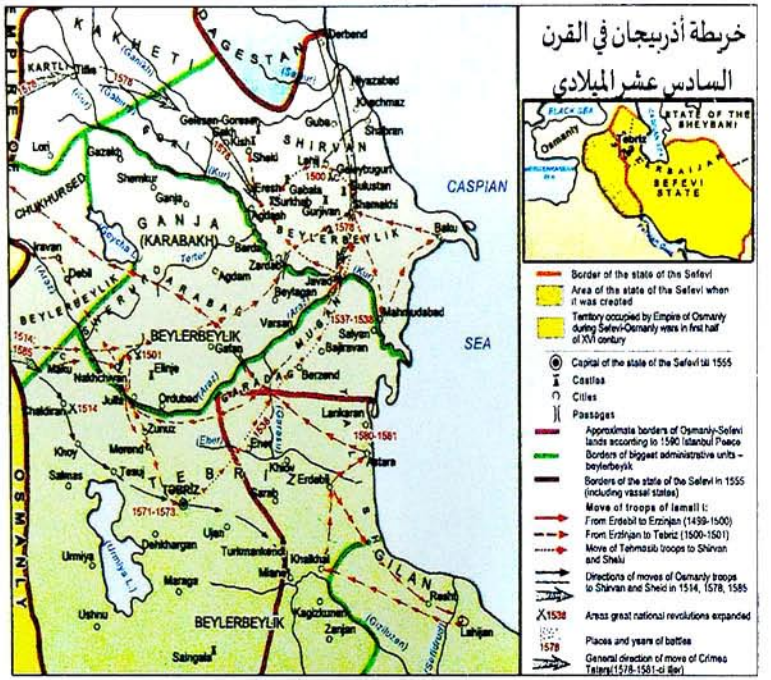

استمرت تدفقات الأوغوز، وكذلك الشعوب التركية الأخرى بشكل محدود إلى المنطقة حتى القرن السادس عشر الميلادي، عقب الأوغوز السلاجقة الذين استوطنوا أذربيجان (الذين ساعدوا في تشكيل الشعب الأذربيجاني). إن حملات المغول والتتار وتيمورلنك، القراقويونلو[2]، والآققويونلو[3] قد أدت إلى تقوية التركيب العرقي (قدرة!) للشعب الأذربيجاني الذي كان لا يزال في طور التشكيل. وهذه العملية التي بدأت من القرون الأولى الميلادية استمرت حتى نهاية القرون الوسطى وأوائل العصر الحديث.

---

[2] **القراقويونلو، القره قويونلو أو الخرفان السود:** قبيلة من التركمان حكمت في شرق الأناضول، وأذربيجان، والقوقاز، وبعض الأجزاء من إيران والعراق. سنوات 90/1380-1469م. (المترجم)

[3] **الآق قويونلو، الآغ قويونلو أو الخرفان البيض:** من القبائل التركمانية، حكمت في شرق الأناضول، وأذربيجان، وفارس، والعراق، وأفغانستان، وتركستان ما بين ٧٦٤١-٢٠٥١ م. (المترجم)

وقد وضعت حملات الأوغوز السلاجقة بداية من القرن الثامن أساس شعب آخر من شعوب أتراك الأوغوز- أي العثمانيين (الأتراك الحاليين) في الأناضول – شبه جزيرة آسيا الصغرى (وبعد ذلك في البلقان). ومع أن الأسس العرقية والجغرافية للأتراك، تركمانستان وأذربيجان وتركيا القريبين من بعضهم بعضًا قد وضعت في عصور مختلفة، فإن تكوينهم شعبًا واحدًا مستقلًا يتزامن أيضًا فيما بينهما: أي خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، وهناك أسباب عرقية وجغرافية وسياسية ودينية وغيرها لظهور شعوب تركمانستان وأذربيجان وتركيا المعاصرة كشعوب مستقلة في نهاية القرون الوسطى. وهذه الأسباب هي التي أدت إلى انقسام أتراك الأوغوز المتحدين إلى تلك الشعوب.

وتتزامن عملية انتهاء تشكل الشعب الأذربيجاني وتكوينه مع فترة تأسيس دول القراقيونلو والآققيونلو، ولا سيما الدولة الصفوية. وليس هذا من قبيل الصدفة، أي أن هذا يعني أن هذه الأمور عبارة عن أن أحداث مرتبطة فيما بينها.

فتشكل الشعب وتكّونه يؤديان إلى الحاجة إلى تأسيس دولة قومية، أما تأسيس الدولة القومية فهو يضمن تشكيل الشعب.

كانت الدولة الصفوية التي ظهرت في بداية القرن السادس عشر تقوم على أساس العرق التركي، وهي استمرار مباشر لدولة القراقويونلو والآققويونلو. لقد حددت هذه الدولة العظيمة التي أسسها الشاه إسماعيل الأول حدود أذربيجان (والشعب الأذربيجاني). ويكفي من أجل تصوير مكانة الصفويين في "السيرة الذاتية" للشعب الأذربيجاني ذكر حقيقة واحدة فقط هي أنه لم تقم لأذربيجان "ولا للشعب الأذربيجاني" دولة مترامية الأطراف بهذا الحجم (أو دولة واحدة بهذا الشكل) قبل قيام الدولة الصفوية، ولا بعد زوالها.

لقد فقدت الدولة الصفوية الأذربيجانية-التي كان مركزها تبريز- هويتها القومية للأسف في أكثر فترة حرجة في تاريخ الشعب– في بداية القرن السابع عشر، وباءت بالفشل محاولة نادر شاه في القرن السابع عشر "لترسيم من جديد" الحدود الطبيعية والتاريخية لدولة أذربيجان.

***

ويمكن تقسيم تاريخ تشكل الشعب الأذربيجاني الذي استمر حوالي ألف وخمسمائة عام على العصور المتسلسلة كما يلي:

1) عصر استقرار أتراك الهون – القبشاق (من القرون الأولى الميلادية حتى نهاية الألفية الأولى وبداية الألفية الثانية)؟

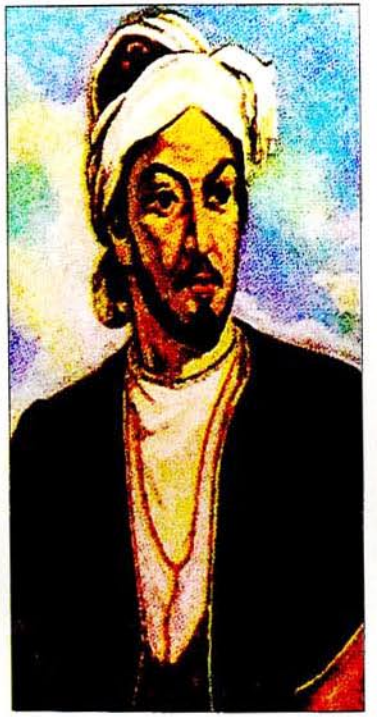

الشاعر الأذربيجاني الكبير عماد الدين نسيمي

عالم الفلك الأذربيجاني نصير الدين الطوسى

2) عصر استقرار أتراك الأوغوز – السلاجقة (من نهاية الألفية الأولى وبداية الألفية الثانية حتى بداية العصر الجديد).

ويجب الأخذ في الاعتبار أنه على الرغم من أن العصر الأول هو "عصر بداية" تشَّكل أذربيجان، فالعصر الثاني هو الذي أدى إلى الدور الأساسي في عملية تشكيل الشعب الأذربيجاني؛ أي أن سلاجقة الأوغوز الذين اختلطوا بـ (القبشاق – الهون) المحليين (وكذلك بعض الأعراق المحلية غير تركية الأصل، وكذلك الأعراق الداخيلة) أنشأوا "عرقًا متميزًا" جديدًا.

وعلى هذا، فإن تاريخ تشكُّل الشعب الأذربيجاني الذي بدأ في القرون الميلادية الأولى قد انتهى في أوائل العصر الجديد نهاية القرون الوسطى أي في القرنين السادس عشر والسابع عشر. وقد استطاع الشعب الأذربيجاني خلال هذه الفترة الطويلة التي امتدت ألف وخمسمائة عام أن يجدد جغرافيته العرقية، ويؤسس دولة قومية أو يؤسس نموذجًا للدولة القومية، ويشيد عشرات المدن الشهيرة عالميًّا مثل تبريز، ونخشوان، وغنجه، وشماخي، وباكو، ودافع عنها ضد الأعداء، وأنجب كبار مفكريه أمثال "خطيب تبريزي"[4]، و"بهمنيار"[5]، و"نظامي الغنجوي"، و"نصير

[4] **خطيب تبريزي (1030 – 1109 م)**: من أئمة اللغة والأدب. أصله من أذربيجان. ونشأ ببغداد ورحل إلى بلاد الشام، من أهم كتبه "شرح ديوان الحماسة لأبي تمام" أربعة أجزاء، و "تهذيب إصلاح المنطق لابن السكيت" و "تهذيب الألفاظ لابن السكيت" وشرح سقط الزند للمعري". (المترجم)

[5] **بهمنيار (القرن الخامس هـ)**: هو أبو الحسن بهمنيار بن المرزبان الأذربيجاني. كان حكيمًا وفيلسوفًا من تلامذة ابن سينا. مؤسس مدرسة الفلسفة بأذربيجان. ومن أهم مؤلفاته "مراتب الموجودات"، و"ما بعد الطبيعة". (المترجم)

الدين الطوسي"[6]، و"عماد الدين نسيمي"[7]، و"محمد فضولي". وأهم حدث إبداعي هو أن الشعب الأذربيجاني أبدع ملحمة "ده ده قورقود" التي تُعد ملحمته الرئيسية، فمن خلالها قدم صورة متكاملة عن لغته، وروحه، وجغرافيته، وتاريخه العرقي، وهويته الكاملة.

[6] **نصير الدين الطوسي**: عالم فلكي وبيولوجي وكيميائي ورياضياتي وفيلسوف وطبيب وفيزيائي ومتكلّم، ولد في طوس، وهي ناحية في منطقة خراسان في شمالي شرق إيران حاليًا. كتب نصير الدين في المثلثات، والفلك، والجبر، والهندسة، والحساب، والتقاويم، والطب، والجغرافية، والمنطق، والأخلاق، والموسيقي، وغيرها من المواضيع. كما ترجم بعض كتب اليونان، وعلق على مواضيعها شارحًا ومنتقدًا. ومن أشهر مؤلفاته: "كتاب شكل القطاع"، وهو أول مؤلف فرق بين حساب المثلثات وعلم الفلك. (المترجم)

[7] **عماد الدين نسيمي (1369-1417م)**: هو شاعر صوفي ولد في مدينة "شماخي" بأذربيجان، نظم أشعاره بالتركية والفارسية، له ديوانان واحد نظمه بالفارسية وآخر نظمه بالتركية. وله عدة قصائد عربية اللسان أيضًا. (المترجم)

الفصل الثاني
نضال الشعب الأذربيجاني
في سبيل الحرية (الاستقلال) القومي

لا شك أن العامل الأول الذي يميز نضال الشعب الأذربيجاني في سبيل الحرية (الاستقلال) القومي هو أنه تخطى عملية تشكّل مكتملة. إن المفارقة المأساوية هي أن شعبًا مترامي الأطراف جغرافيًا، ويمتلك رؤية معنوية وثقافية، وله عراقة الدول القديمة، ليست له دولة مستقلة.

وثمة ثلاثة أسباب لهذا الأمر على الأقل:

1- كان هناك تنافس بين الدول التركية.

2- كان التأثير المركزي للوحدة الإسلامية يُثبت ذاته.

3- كانت النزاعات العرقية في المنطقة لا تهدأ.

لقد كانت الدولة الصفوية الأذربيجانية عبارة عن نتاج عصر تشكل الشعب الأذربيجاني، وظهرت بوصفها مظهرًا لمقدرة الشعب على تأسيس دولة قومية. ولكن ما لبثت كثيرًا حتى فقدت مضمونها القومي، وأصبحت فارسية. لقد تكوّنت على أراضي أذربيجان دُويلات صغيرة مرتبطة بعضها ببعض عن قريب أو بعيد، وتسعى كل منها للاستقلال. وقد أدى عدم وجود قوة سياسية قومية تجمع بداخلها هذه الدويلات إلى تعرض الدولة (أذربيجان) بشكل دائم إلى التدخلات الخارجية، وعدم التصدي لهذه التدخلات.

وعلى هذا، وبسبب عدم وجود حكم مركزي للشعب (أي الشعب الأذربيجاني) الذي ظهر في التاريخ بقوته المعنوية القومية الضخمة، والذي تشكل من جديد، تحولت أرضه إلى ساحة حرب بين إيران والدولة العثمانية، وأصبح مصير الشعب معلقًا تحت إمرة المعتدين.

بدأت روسيا التي ازدادت قوتها منذ القرن السادس عشر في احتلال الأراضي التركية تدريجيًا. والامبراطورية التي كانت تسعى للحرب في سبيل الاستيلاء على القوقاز فيما بين القرنين السابع عشر والثامن عشر احتلت شمال أذربيجان تدريجيًا بداية من مطلع القرن التاسع عشر.

وبهذا، تحول الشعب الأذربيجاني في فترة ازدهار مُثُله القومية إلى ساحة نزاع بين إيران، والدولة العثمانية، وروسيا.

ومع ذلك فقد ظهر الشعب الأذربيجاني على ساحة التاريخ من خلال إرادته القومية والمعنوية القوية وبروحه النضالية وبثقافته ذات المضمون النهضوي، وذلك بداية من نهاية القرون الوسطى ومطلع الفترة الحديثة؛ فبعد ألف وخمسمائة عام من التشكل، أظهر مجموعة من الصفات الذاتية المميزة. لقد حلت النماذج أو المعايير الكلاسيكية العالمية النابعة من المحيط التركي، وكذلك الإسلامي محل التكنولوجيات الوطنية الديمقراطية. وهذا يعتبر أمرًا مميزًا بالنسبة للشعوب التي تشكلت بصورة عادية، وللتمثيل على هذا يمكن القول إنه حدث هذا الأمر في الشعوب الرومانية؛ فالشعوب الإيطالية والإسبانية والفرنسية حتى نهاية القرون الوسطى قد اكتسبت مزايا قومية ثرية، في حين أنها كانت ترفض النماذج اللاتينية المشتركة للشعوب الرومانية حتى تلك الفترة.

لم يكن من الممكن التصدي لنضال شعب (الشعب الأذربيجاني) مليئًا بالحيوية ولد من جديد بشكل قومي من أجل الاستقلال.

أولا: النهضة الأذربيجانية ونتائجها

لقد تزامنت المراحل الأخيرة من تاريخ تشكل الشعب الأذربيجاني مع عصر النهضة القومية. لقد أعطى عصر النهضة الأذربيجاني، الذي امتد من القرن السادس عشر حتى القرن الثامن عشر، دفعة قوية لتطور الوعي القومي. وكان عصر النهضة يشمل المجال المعنوي أكثر. وأُبدعت فيه الأعمال الأدبية المهمة في الأدب الشفاهي، ولا سيما نهوض فن الشعر الشعبي إلى القمة من خلال إبداع شعراء شعبين أمثال "عاشق قورباني"[1]، و"عاشق عباس توفارقانلى"[2]، و"خسته قاسيم"[3]، و"صاري عاشق"[4]. وانتشرت على نطاق واسع ملحمة "كور أوغلو"[5] التي أبدعها الشعب الأذربيجاني عقب ملحمة "ده ده قورقود"، وأصبحت هذه الملحمة تعبيرًا عن القيم المعنوية والقومية للشعب.

---

[1] **عاشق قورباني:** أحد أكبر الشعراء الشعبيين الأذربيجانيين الذين عاشوا في القرن السادس عشر الميلادي، وكان معاصرًا للشاه إسماعيل خطائي. ونظمت باسمه ملحمة بعد ذلك سميت باسمه. (المترجم)

[2] **عاشق عباس توفارقانلى:** من كبار الشعراء الشعبيين الأذربيجانيين الذين عاشوا في نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر، وكان يستخدم أسماء "قول"، و"بيكاس". و"شيكسته". (المترجم)

[3] **خسته قاسيم:** أحد الشعراء الشعبيين الأذربيجانيين في القرن الثامن عشر الميلادي. كان يحفظ القران الكريم ويقرأه بصوت عذب، وقيل أنه كان خطاطًا أيضًا كتب القرآن الكريم بخطه. وكان يستخدم في أشعاره اسم "خسته قاسيم" (أي قاسيم المريض)، و"بيتشاره قاسيم" (قاسيم المسكين). (المترجم)

[4] **صاري عاشق:** أحد الشعراء الشعبيين الأذربيجانيين في القرن السابع عشر الميلادي. تميز في نظم أحد أنواع الشعر الشعبي الأذربيجاني وهو "البياتي" متحديًا بذلك القائلين إن المرأة هي وحدها البارعة في نظم هذا النوع من الشعر الشعبي. (المترجم)

[5] **ملحمة "كور أوغلو":** هي من أشهر الملاحم الشعبية في العالم التركي بصفة عامة. عاش بطل الملحمة "كور أوغلو" في النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي. وهو شخصية شبه أسطورية كان يناضل ضد ظلم الحكام من أجل عامة الشعب. (المترجم)

تعد ملحمة "كور أوغلو" بجانب قوتها الإبداعية عملاً تاريخيًا شفاهيًا أبدعه الشعب الأذربيجاني بدقة، وتم تدوينه عدة مرات في العصر الذي ألف فيه. وقد ضمت هذه الملحمة في طياتها الجغرافيا التي عاش فيها الشعب، وانتشاره وعلاقاته مع المناطق المتاخمة، وتأسيس الدولة، وأصول الإدارة والثقافة، والشيء الأساس هو روح الشعب (عصر النهضة). ويبدو جليًّا أنه على الرغم من عدم وجود دولة مركزية للشعب الأذربيجاني فيما بين القرنين السابع عشر والثامن عشر، فكانت لها مُثل عليا هكذا (مُثل الدولة المركزية!). ولم يكن حامل هذه المُثل العليا هم الحكام أو السادة، بل هو البطل "كور أوغلو" الذي نشأ وسط الشعب (وتربى بين أحضانه!).

إن الأسلوب الكلاسيكي الذي ازداد تعقيده من خلال تخلله الكلمات العربية والفارسية وتركيباتهما في الأدب المكتوب، بل يمكن القول إنه تحول إلى قوالب غير مفهومة، أصبح يحل محله الأسلوب الشعبي أو الفولكلوري. وكان إبداع شعراء أذربيجانيين أمثال "محمد عماني"[6]، و"مولا والي ودادى"[7]، و"مولا بناه واقف" يعكس النمط التاريخي للأدب الأذربيجاني.

لقد حلت الزخارف النباتية محل الزخارف الهندسية التي كانت تتميز بها القرون الوسطى، وأضفت البساطة والطبيعية على ألوانها، ويمكن رؤية أجمل النماذج لهذه الزخارف على جدران قصر حاكم مدينة (شاكي) الأذربيجانية التي أُنشئت في القرن الثامن عشر، واكتسبت أيضًا الموسيقى الشعبية شهرة كبيرة.

وكانت المدن الأذربيجانية الكلاسيكية في القرنين السابع عشر والثامن عشر قد

[6] **محمد عماني** (1536 – 1610) : أحد الشعراء الأذربيجانيين الذين أدوا دورًا مهمًّا في تطوير الشعر باللغة الأم. (المترجم)

[7] **مولا والي ودادى** (1709 – 1809): من كبار الشعراء الأذربيجانيين في القرن الثامن عشر الميلادي. كانت معظم أشعاره تتناول موضوع ظلم الإقطاعيين في زمانه، والحزن واليأس والوحدة المعنوية التي كانت تخيم على هذا الزمان. (المترجم)

افتقدت مكانتها التاريخية، وأُقيمت مدن جديدة ذات طراز معماري بسيط، واتسع النشاط الاجتماعي والثقافي للقرى.

وزاد دور الإنسان العادي في الحياة الاجتماعية، وأصبحت شخصيته وأحاسيسه وأفكاره هي الموضوع الأساس للأدب والفن بصفة عامة.

وعلى هذا، فقد أثرت النهضة تأثيرًا مهمًّا على إقامة الوحدة القومية والمعنوية للشعب، والانضباط الذاتي، وتكوين الاهتمامات العامة.

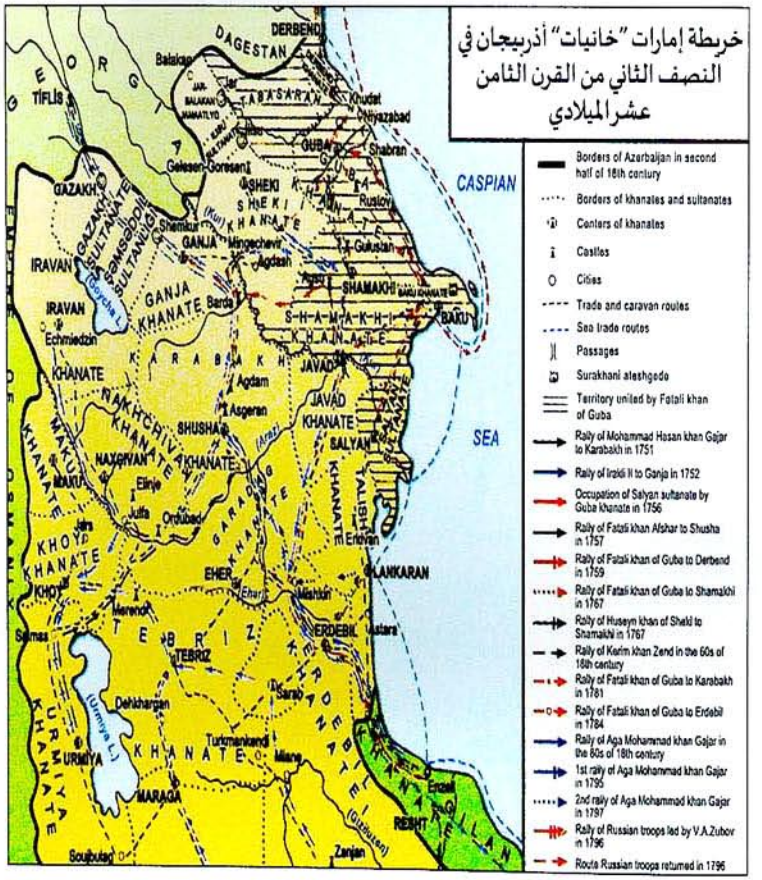

لقد أدى اتباع الدولة الصفوية (من خلال مبادرات الحكام أو القصر) للفكر والنموذج الإيراني بشكل مصطنع إلى القضاء على هذه الدولة. وبعد أن فشلت مساعي "نادر شاه" في إقامة دولة أذربيجان الجديدة، حصل الحكام (الخانات) على "الاستقلال" الذي كانوا ينشدونه منذ زمن. وكانت كل دويلة (إمارة) تسعى للظهور وإظهار القوة للدويلات (الإمارات) المتاخمة، وذلك من خلال مركزها وجيشها وأساليب إدارتها. حقًا، هذا "الاستقلال" ضم لأذربيجان مدنًا مثل "شوشا"، و"شاكي"، و"قوبا"، و"لانكران"، و"إيروان"، و"قازاق"، ولكن النزاعات الداخلية دمرت العديد من قاطني الوطن. يصور لنا الشاعر الأذربيجاني الكبير "صمد ورغون" الوضع التاريخي لأذربيجان في تلك الفترة ممثلًا في إمارة "قراباغ"، وذلك بقوله:

تركيا من ناحية، وإيران من ناحية أخرى وروسيا ترسل من هناك القرارات.

وهذا يعني أنه رغم أن هذه الإمارات كانت مستقلة، فإن هذا الاستقلال كان مشروطًا وغير ثابت.

ومما يلفت الانتباه في عصر النهضة هو ارتقاء الوضع الاجتماعي للتجار، وتعزيز تدخلهم في الحياة الثقافية والمعنوية، وكذلك في شؤون السلطة والحكم. وكان الشعراء الشعبيون الذين يعتلون أشهر مجالات الفن آنذاك يتناولون في أشعارهم شخصية التجار بكل احترام، حتى إن بعضهم مثل الشاعر الشعبي "خسته قاسم" يشرح معنى حياة الإنسان في قوله: "يأتي الإنسان تاجرًا ويعود سيدًا"؛ أي أنه يعني أن "الإنسان يولد في هذه الدنيا من أجل التجارة، وعند موته يكون قد شبع من الدنيا، واكتمل لديه كل شيء، وأصبح غنيًّا ثم يرحل بعد ذلك عن الدنيا".

لقد أثرت نهضة أذربيجان في الوقت ذاته على المناطق وعلى الشعوب المجاورة تأثيرًا واسعًا وفعالًا.

ثانيا: الحركة الديمقراطية القومية

ونضال الشعب الأذربيجاني في سبيل الوحدة القومية واستقلال الدولة

منذ أوائل القرن التاسع عشر، أصبح شمال أذربيجان تابعًا لروسيا، وجنوبها تابعًا لإيران، وغربها تابعًا للدولة العثمانية. وحُكم على شعب واحد العيش بمبادئ أخلاقية وأيديولوجية لثلاث دول مختلفة.

كانت أسس الإدارة الإيرانية والروسية تقوم على مبدأ الرغبة في الاستعمار خلافًا لأسس الإدارة العثمانية (قد أثرت القرابة العرقية على العلاقات أيضًا)، وكان هذا الفكر الاستعماري يعرف مُثل الاستقلال للشعب الأذربيجاني، ويحاول محوها. لقد تحول أتراك أذربيجان الذين قطنوا شمال الأناضول إلى جزء داخل تركيبة الدولة العثمانية، ثم بعد ذلك داخل تركيا، وعلى الرغم من أن أحفادهم يذكرون قدوم أجدادهم من "تبريز"، و"غنجة"، و"شيروان"، و"قراباغ"، و"ايروان"، أي يعرفون أنهم أتراك آذريين، فإنهم قد اندمجوا واختلطوا مع الأتراك العثمانيين، وبعبارة أخرى يمكن القول إنهم أقاموا "جسرًا" بين الشعب الأذربيجاني والشعب التركي.

كان كبار المبدعين الأذربيجانيين حتى أواسط القرن التاسع عشر أمثال "عباس قولوآغا باكيخانوف"[1]، و"ميرزا فتحعلي آخوندوف"[2]، و"حسن بك زردبائي"[3]،

---

[1] **عباس قولو آغا باكيخانوف**(1794م – 1847م): شاعر أذربيجاني، وكاتب، ومفكر ومترجم. يعد أحد المفكرين الأذربيجانيين في القرن التاسع عشر. كما كان يعد عالمًا موسوعيًا، ألف في مجالات اللغة والجغرافية والتاريخ وعلم الفلك والمنطق. (المترجم)

[2] **ميرزا فتحعلي آخوندوف** (1812م – 1878م): فيلسوف وكاتب مسرحي ومؤسس النقد الأدبي الحديث. زادت شهرته بعد أن كتب مسرحيات مقتبسة من الأدب الأوروبي باللغة الأذربيجانية. بدأ أخوندوف مرحلة جديدة في تطوير الأدب الأذربيجاني. ويعتبر أيضًا مؤسس المسرح الأذربيجاني. (المترجم)

[3] **حسن بك زردبائي** (1837 – 1907): من كبار المفكرين الأذربيجانيين ومؤسس الصحافة الأذربيجانية. أصدر أول الصحف الأذربيجانية (صحيفة اكينتشي). (المترجم)

و"سيد عظيم شيرواني"[4]، وكذلك في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين أمثال "محمد آغا شاهختبنسكي"[5]، و"علي بك حسين زاده"[6]، و"جليل محمد قولوزاده"[7]، و"ميرزا علي أكبر صابر" كان على هؤلاء المفكرين والمبدعين أن يفكروا بعزيمة في مستقبل الشعب الأذربيجاني (أيديولوجيًّا وسياسيًّا).

مؤسس الصحافة الأذربيجانية حسن بك زردبائي

مؤسس فن المسرح الأذربيجاني ميرزا فتحعلي آخوندوف

[4] "سيد عظيم شيرواني (1835م – 1888م): شاعر ومفكر أذربيجاني شهير. كانت معظم أشعاره تتناول موضوع الهجاء. (المترجم)

[5] محمد آغا شاهختبنسكي (1931 – 1846): صحفي وأول من حصل على لقب أستاذ جامعي بجامعة باكو الحكومية بأذربيجان. (المترجم)

[6] علي بك حسين زاده (1864 – 1940): أديب وناقد أدبي أذربيجاني. له دور كبير في الصحافة الأذربيجانية. (المترجم)

[7] جليل محمد قولوزاده (1869م – 1932م): كاتب ومسرحي وصحفي أذربيجاني شهير. رائد مدرسة "نصر الدين خواجه" الأذربيجانية التي تعد أهم الاتجاهات الأدبية الأذربيجانية الحديثة. كان أيضًا رائدًا في كتابة القصة الأذربيجانية القصيرة. (المترجم)

قال الشاعر الأذربيجاني "محمد هادي"[8]: "لقد وضعت الأمم بصمتها على أوراق الحياة، ولا توجد لأمتي بصمة بين الأمم". وفطن بذلك جيدًا الوضع الذي آل إليه الشعب. على الرغم من اختلاف المواقف الإيديولوجية وأسس ومناهج البحث عن طريق الإخلاص عند الديمقراطيين المثقفين الذين كانوا يقدرون نضال الشعب الأذربيجاني في سبيل الحرية واستقلال الدولة، فإنهم جميعًا كانوا مخلصين لهذه الفكرة "وحدة" واستقلال الوطن.

إن المساعي الإيديولوجية القومية التي كانت تحدد مستقبل الشعب في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين كان تؤتي ثمارها من خلال إتاحة الصحافة التي كانت منتشرة آنذاك وبها جميع الفرص. وحث المفكر الأذربيجاني الكبير "علي بك حسين زاده" الشعب الأذربيجاني للنهوض، وصاغ لهم الأسس الإيديولوجية.

إن صعوبة القضية تكمن في أنه كان يقع على عاتق الشعب الأذربيجاني مهمة ضخمة ليست مجرد استقلال الدولة، بل حل مشكلة الوحدة السياسية. ولكن المعاهدة التاريخية"[9] المبرمة بين روسيا وإيران كانت لا تسمح بذلك.

حدثت مواجهة عميقة في المجتمع الأذربيجاني في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين كان سببها هو تشتت الفكر القومي العام، وعدم وجود مركزية إيديولوجية، وطبيعي أيضًا التأثير القوي للتدخلات السياسية والإيديولوجية الخارجية. وكان لا بد من حدوث صراع مستمر من قبل المراكز

[8] محمد هادي (1879م – 1920م): شاعر من رواد المدرسة الرومانسية في أذربيجان. نشر العديد من أشعاره التي كانت تدعو إلى العلم والمعرفة وكذلك مقالات حول قضايا النهضة على صفحات أهم الجرائد الأذربيجانية مثل "حيات"، و"فيوضات"، و"برهان الترقي". (المترجم)

[9] يقصد الكاتب بهذه الاتفاقية "معاهدة توركمنتشاي" التي وقعت بين روسيا وإيران عام 1828م وتقضي بتقسيم أذربيجان بينهما ويفصل بينهما نهر "آراز" (المترجم).

والمؤسسات والمثقفين الذين يميلون نحو إيران أو الدولة العثمانية أو روسيا. لقد وصل الأمر أن هذه المواجهة كانت تحدث في حياة الشعب، وكذلك بين أفراد الأسرة الواحدة. وكما ورد في مسرحية "كتاب أمي" للكتاب والصحفي الأذربيجاني "جليل محمد قولوزاده"، أن ثلاثة إخوة أشقاء كان كل واحد منهم ينتسب إلى أمة مختلفة. وكأن هناك ثلاث أمم في تركيبة الشعب الأذربيجاني لا تقبل بعضها بعضًا. ولكن يجب الأخذ في الاعتبار أيضًا أنه كلما تعمقت المواجهة، أثرت الملاحظات التي اتخذت شكلاً اجتماعيًا واسعًا على تطور الوعي القومي، وعلى نشر الأفكار الديمقراطية.

لقد ترعرع في مطلع القرن العشرين مثقفون أذربيجانيون – رجال دولة يستطيعون بالفعل إقامة دولة (وإدارتها)، كان من بينهم شخصيات أدوا دورًا كبيرًا في تاريخ أذربيجان مثل "عليمردان بك توبتشوباشوف"[10]، و"فتحعلي خان خويسكي"[11]، و"محمد أمين رسول زاده"[12]، و"نريمان نريمانوف"[13]، وكان لدى هؤلاء القدرة على قيادة نضال الشعب من أجل الوحدة القومية، والاستقلال، وتكمن عظمة مُثل الدولة القومية للشعب الأذربيجاني في أنها تصطبغ بصبغة قومية.

---

[10] **عليمردان بك توبوتشوباشوف (1863م – 1934م)**: سياسي ودبلوماسي ومحام أذربيجاني شهير. عُين رئيسًا لبرلمان جمهورية أذربيجان الشعبية (1918 – 1920م). (المترجم)

[11] **فتحعلي خان خويسكي (5781م – 1920م)**: سياسي أذربيجاني شهير، وكان رئيس حكومة جمهورية أذربيجان الشعبية. (المترجم)

[12] **محمد أمين رسول زاده (1884م – 1955م)**: رجل دولة وسياسي أذربيجاني شهير. أحد مؤسسي جمهورية أذربيجان الشعبية، وأحد رواد المهجر الأذربيجاني، وأحد كبار الشخصيات في تاريخ أذربيجان الحديث. (المترجم)

[13] **نريمان نريمانوف (1870م – 1925م)**: رجل دولة وكاتب وسياسي وصحفي. أول رئيس دولة وحكومة بعد ضم أذربيجان للاتحاد السوفيتي السابق ٢٩١٠م. (المترجم)

إن المجموعات التي كانت تتدفق من جميع أنحاء أذربيجان، ولا سيما الأماكن الآهلة بالسكان، إلى العاصمة الأذربيجانية باكو، نظرًا لتطور صناعة البترول كانت هذه المجموعات تشكل القدرة الاجتماعية والسياسية (والإيديولوجية) لأي أمة.

ومع أنهم كانوا يعيشون في "باكو"، فقد كانت لهم صلات بالأماكن التي قدموا منها. وبهذا كان الشعب بأكمله يُمثل في عملية النضال من أجل المُثل القومية.

ولهذا السبب، ليس من الصواب الادعاء القائل بأن الدول المستقلة أو شبه المستقلة التي ظهرت على الساحة في شمال أذربيجان تختص بالأذربيجانيين الشماليين. وكذلك القول بأن الحركة القومية التي قويت في أذربيجان الجنوبية مع بداية القرن العشرين تخص الأذربيجانيين الجنوبين فقط. وليس على سبيل الصدفة أن الشاعر الأذربيجاني الشهير "ميرزا علي أكبر صابر" الذي أهله من "شيروان" (أذربيجان الشمالية آنذاك) قام بخدمات جليلة لثورة "ستار خان" في إيران "أذربيجان الجنوبية آنذاك".

ثالثا: الجمهورية الشعبية الأذربيجانية ومُثل الدولة لدى الشعب الأذربيجاني

أظهر الشعب الأذربيجاني موهبته وقدرته على إقامة دولة حديثة (قومية ديمقراطية) من خلال ظهور الجمهورية الشعبية الأذربيجانية. ولكن كان هذا مظهرًا لمحدودية أو انعدام الإمكانيات على المستوى القومي العام. وعلى هذا كان الشعب الأذربيجاني الذي يشغل مساحة جغرافية كبيرة يقوم بـ "تحديد مصيره" في أذربيجان الروسية بجنوب القوقاز فقط. (أذربيجان الشمالية التي كانت تحت سيطرة روسيا قبل قيام الجمهورية الشعبية الأذربيجانية عام 1918م).

أما الحركات القومية التي كانت تعترض وتتمرد بشكل مستمر في أذربيجان الجنوبية (أذربيجان الإيرانية آنذاك) فقد كانت تُخمد أيضًا بشكل مستمر لأسباب متباينة.

عاشت الجمهورية الشعبية الأذربيجانية من عام 1918م إلى عام 1920م. وكما ذكر قادة هذه الجمهورية فيما بعد وهم في المهجر، أنه على الرغم من أن هذه الجمهورية عاشت فترة قصيرة، فقد أظهرت للشعب المعنى الحقيقي للاستقلال القومي. وعقب سقوط هذه الجمهورية دخلت أذربيجان في شكل شبه جمهورية مستقلة ضمن تركيب الاتحاد السوفيتي الذي كان مؤسسًا حديثًا آنذاك. على الرغم من انطفاء الآمال في الاستقلال، فقد تأججت هذه الآمال من جديد بشكل يلائم متطلبات الظروف التاريخية الجديدة. فقد تطورت اللغة والأدب والثقافة الأذربيجانية تطورًا ملحوظًا في العصر السوفيتي. وعلى الرغم من أن الضغوط الإيديولوجية الروسية السوفيتية قوية، وعلى الرغم من انفصال أذربيجان عن العالم (وكذلك العالم التركي!)، فإن الشعب الأذربيجاني حافظ على وحدته المعنوية

بفضل المثقفين والعلماء والمفكرين الوطنيين. لقد حدث في أثناء الحرب العالمية الثانية تقارب لمدة قصيرة بين شمال أذربيجان (التي كانت تحت سيطرة الاتحاد السوفيتي آنذاك)، وجنوبها (التي كانت تحت سيطرة إيران). وأظهر هذا التقارب قصير المدة أن الشمال والجنوب– وإن انفصل بعضهماعن بعض– فإنهما يرتبطان بروابط قومية وطيدة.

أعطى نجاح الثورة الإسلامية الإيرانية دفعة قوية لإعادة إحياء العلاقات بين شمال أذربيجان وجنوبها من جديد.

فواصل القادة القوميون الذين اضطروا لمغادرة البلاد عقب سقوط الجمهورية الشعبية الأذربيجانية نضالهم في الدول الأجنبية، وكانت هذه الحركة التي قادها "محمد أمين رسول زاده" رمزًا للصراع من أجل الاستقلال القومي، وأثرت على الحياة الاجتماعية والسياسية بأذربيجان.

على الرغم من عدم إمكانية وصف التطور الثقافي للشعب الأذربيجاني في الفترة السوفيتية بأنه كان يحمل شعار "من الظلمات إلى النور"، أو "من الحزن إلى السرور"– كما كان يدعي آنذاك المنظرون السوفييت– فإنه لا يمكن إنكار هذا بشكل كلي. حتى إنه يمكن الاعتراف بأن روح الاستقلال القومية كانت أقوى في أذربيجان تميزًا عن باقي الجمهوريات التركية الأخرى التي كانت داخل تركيب الاتحاد السوفيتي السابق، فقد أقيم منتدى الدراسات التركية الأول في باكو (1926م)، وأعطى صدى ثقافيًّا ومعنويًّا، ورفع من شأن أذربيجان وسط العالم التركي بأسره.

لم يكن مثقفو أذربيجان مرغوبًا فيهم بالقدر الكافي لدى الحكومة السوفيتية؛ فقد تعرضوا من عشرينيات القرن العشرين أي من السنوات الأولى لتأسيس الاتحاد السوفيتي وحتى فترة الستينيات، لمضايقات متعددة، وزُجَّ بهم في المنفى، وقُضي على بعضهم. ولكن لم تصمت هذه الشخصيات التي تحمل روح الشعب الذي ينتسبون إليه مطلقًا، ويُعبرون عن مُثله العليا.

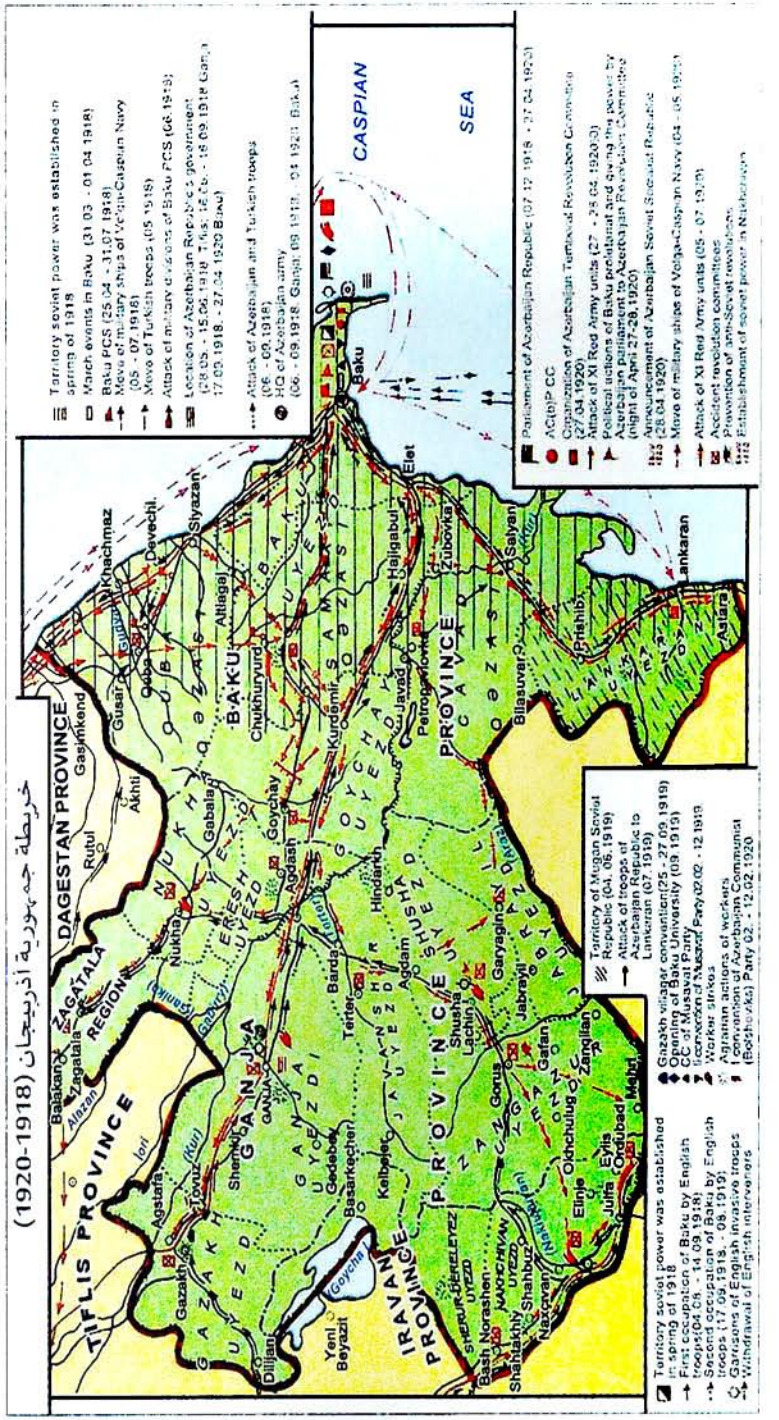

خريطة جمهورية أذربيجان (1918-1920)

كانت هناك شخصيات مزدوجة، أو حتى ذات ثلاثة اتجاهات. فعلى سبيل المثال، الكاتب والشاعر الأذربيجاني الشهير جعفر جبارلي[1] أبدع أجمل الأعمال الفنية في فترة الجمهورية الشعبية الأذربيجانية. وهو في الوقت ذاته مؤسس الأدب الأذربيجاني في فترة الاتحاد السوفيتي. وكذلك الموسيقار الأذربيجاني "عزير حاجيبيلي"[2] الذي لحن موسيقى النشيد الوطني لجمهورية أذربيجان بالاتحاد السوفيتي، وكذلك الشاعر الأذربيجاني الشهير "صمد ورغون" الذي قال عن الحزب الشيوعي إن "حزبنا هو ضمير البشرية، وعشقها وقلبها ونبضها وفكرها والمستقبل المشرق للكرة الأرضية بأسرها". وهو ذاته الذي نظم أجمل الأشعار وأشهرها وأفضلها عن أذربيجان فهو القائل:

الدنيا تعرف أنك لي
أنت وطني وملاذي وسكني
أنت أمي ووطني الغالي
أينفصل الجسد عن الروح
أذربيجان، أذربيجان

لقد قدم مبدعو الأدب الأذربيجاني في الفترة السوفيتية خدمات جليلة من أجل تطوير الثقافة (والفكر) القومي بتقديم إبداعاتهم باللغة الأم.

إن افتتاح الجامعات وإعداد الكوادر المتخصصة الحاصلة على شهادات عليا،

---

[1] جعفر جبارلي (1899م – 1934م): شاعر ومترجم ومن أشهر كتاب المسرح الأذربيجاني، وله دور كبير في تطوير فن المسرح في أذربيجان. (المترجم).

[2] عزير حاجيبيلي (1885م – 1948م): موسيقار أذربيجاني شهير، ومؤسس الأوبرا الوطنية الأذربيجانية. (المترجم)

الموسيقار الأذربيجاني القدير عزير حاجيبيلي

وإعداد الكوادر العلمية والفنية وتعزيز صناعة البترول التي تعد أهم ثروة طبيعية للشعب الأذربيجاني وتطبيق التكنولوجيات والتقنيات الحديثة يعد كل هذا جزءًا من النجاحات التي أحرزت في فترة الاتحاد السوفيتي السابق.

***

وهكذا، فإن الشعب الأذربيجاني الذي تشَّكل في نهاية القرون الوسطى وبدايات العصر الحديث عاش فترة نهضة خاصة به، ووصل نحو نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين بأفكار ديمقراطية قومية، ومُثل بناء دولة مستقلة. وعاشت أول دولة مستقلة لفترة قصيرة جدًّا. وبالرغم من ذلك، لم تتنازل عن الوحدة القومية (الاستقلال!) تحت أي ظروف تاريخية أو سياسية أو جغرافية.

الفصل الثالث

إقامة دولة أذربيجان المستقلة وانتصار المُثل العليا للوحدة الوطنية وهوية الشعب الأذربيجاني

دعت جمهورية أذربيجان الاشتراكية شبه المستقلة (ضمن الاتحاد السوفيتي السابق) عقب الجمهورية الأذربيجانية الشعبية إلى تطوير المثل العليا للاستقلال القومي للشعب الأذربيجاني، على الرغم من جميع العوائق السياسية والإيديولوجية. ومن أهم القضايا آنذاك انتهاء "حركة التنوير الكبرى"، وظهور قدرة قوية للمثقفين. وبجانب المثقفين والمفكرين الأذربيجانيين الذين نشأوا قبل الاتحاد السوفيتي أمثال "جليل محمد قولوزاده"، و"عزير حاجيبيلي"، و"حسين جاويد"، و"محمد سعيد أوردوبادى"[1]، و"جعفر جبارلي"، نشأ أيضًا مثقفون أذربيجانيون في فترة الثلاثينيات أثناء الحكم السوفيتي أمثال "صمد ورغون"، و"حيدر حسينوف"[2]، و"سلمان رستم"[3]، و"ميرزا ابراهيموف"[4]، و"مهدي حسين"[5]، و"رسول رضا"[6]. وقد بدأ في أذربيجان اللين بعض الشيء كسائر الاتحاد السوفيتي بعد "مير جعفر باغيروف" الذي كان على رأس دولة أذربيجان السوفيتية لمدة طويلة وشخصيته ونشاطه الاجتماعي والسياسي، وأسلوبه في الإدارة "محل جدل" (بالرغم من أنه

---

[1] **محمد سعيد أوردوبادى (1872 – 1950)**: أحد أهم الأدباء الأذربيجانيين، له إسهامات كبيرة في تطوير فن الرواية الأذربيجانية. (المترجم)

[2] **حيدر حسينوف (1908م – 1950م)**: أحد العلماء الأذربيجانيين المتخصصين في علم الفلسفة. وضع أساس مدرسة الترجمة في أذربيجان (المترجم)

[3] **سلمان رستم (1906م – 1989م)**: شاعر وكاتب مسرحي أذربيجاني شهير. احتلت أشعار الحب مكانة مهمة في أشعاره. (المترجم)

[4] **ميرزا ابراهموف (1911م – 1993م)**: ناثر وكاتب مسرحي أذربيجاني شهير. ترأس اتحاد الكتاب الأذربيجانيين فيما بين عامي (١٩٦٤م – ١٩٥٤م). (المترجم)

[5] **مهدي حسين (1909م – 1965)**: ناثر وكاتب مسرحي أذربيجاني شهير. له العديد من القصص القصيرة والروايات مثل رواية "أنهار تحت الأرض تصب في النهر"، ورواية "أبشيرون"، وكذلك العديد من المقالات النقدية حول الأدب الأذربيجاني. (المترجم)

[6] **رسول رضا (1910م – 1981)**: من كبار الشعراء الأذربيجانيين في القرن العشرين. ترأس اتحاد الكتاب الأذربيجانيين عام ١٩٣٩م (المترجم).

الكاتب الأذربيجاني حسين جاويد

كان يخدم الأيديولوجية السوفيتية، فقد أصبح أحد ضحايا هذه الأيديولوجية ليس معنويًا وحسب، بل جسديًا أيضًا). وقد بدأ يترعرع آنذاك رجال سياسة قوميون سوف يُديرون البلاد في تلك السنوات، وسوف تقل تبعيتهم للمركز (الحكم السوفيتي) إلى حد ما مقارنة بالفترات السابقة، وأهم هؤلاء وأقدرهم هو "حيدر علييف". فقد كان "حيدر علييف" حاملاً للروح الوطنية للشعب الأذربيجاني، ويمتلك فكرًا عاليًا وإرادة سياسية قوية (وعالمًا بدهاليز الحكم؛ لأنه عمل في مؤسسة الأمن السوفيتي)، وقد استطاع "حيدر علييف" التعامل مع الإدارة السوفيتية في جميع المجالات. وآتت سياسة تأسيس الدولة القومية التي انتهجها ثمارها، وحقق هذا الزعيم الجديد نجاحات ضخمة في إنعاش الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والمعنوية للدولة، وارتقى إلى مستوى الزعيم القومي بوصفه مؤسس الاستقلال القومي في أذربيجان في نهاية القرن العشرين.

وأقيمت جمهورية أذربيجان المستقلة في المساحة الجغرافية التي يعيش بها عشرون بالمائة من الشعب الأذربيجاني.

أولا: الزعيم القومي
الشعب الأذربيجاني
جمهورية أذربيجان

استغل الشعب الأذربيجاني الظروف الملائمة التي ظهرت نتيجة انهيار الاتحاد السوفيتي في نهاية القرن العشرين، وأسس دولته المستقلة فوق الأراضي التاريخية للجمهورية الشعبية الأذربيجانية، أو بالأصح، أعاد استقلال دولته. ولكن لم يكن هذا أمرًا يسيرًا.

ثمة دور لأي شخصية-في تاريخ أي شعب-لا يمكن إنكاره من جهات عدة؛ أولها أن هذه الشخصية (هذه الشخصية التاريخية!) تمتلك في ذاتها مزايا استثنائية. وثانيها أن هذه الشخصية التاريخية لها مقدرة احتواء الشعب وقوته الاقتصادية والسياسية والمعنوية، وعلى توجيه هذا الشعب. أما ثالثها أن تمتلك هذه الشخصية القدرة على تحفيز الشعب، وأن يكون مثلاً أعلى له، وأن يُلهم الشعب من أجل مستقبله.

كانت شخصية "حيدر علييف" لها دور لا مثيل له في إقامة دولة مستقلة لأذربيجان، وفي تعبئة الشعب والأمة لهذه الحركة من خلال مهمة القيادة التي تحملها بداية من القرن العشرين. وبالطبع، كان عدد كبير من المثقفين وأصحاب الفكر والرأي والمفكرين في فترة الستينيات والسبعينيات والثمانينيات يناضلون بشكل جاد من أجل استقلال أذربيجان. كان هناك عشرات، بل مئات، من الرواد الوطنيين أمثال "ميرزا إبراهيموف"، و"ضيا بنيادوف"[1]، و"إسماعيل شيخلي"[2]،

[1] ضيا بنيادوف (1923م – 1997م): أحد كبار أساتذة الدراسات الشرقية في أذربيجان، وقام بترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الأذربيجانية. (المترجم)

[2] إسماعيل شيخلي (1919م – 1995م): كاتب أذربيجاني شهير ومن رواد فترة الستينيات في الأدب الأذربيجاني الحديث، ومؤلف رواية "نهر كور" التي لعبت دورًا كبيرًا في تطوير الأدب الأذربيجاني الحديث. (المترجم)

و"بختيار وهاب زاده"[3]، و"أبو الفاز إيلتشي بك"[4]، يساعدون في تطوير الوعي القومي والاجتماعي، ولكن كان يأتي في المقدمة بشكل علني أو سري "حيدر علييف" القومي الشيوعي (آنذاك). فقد كان هو من يحمي الرواد وأرباب الفكر القومي الذين يناضلون في سبيل مستقبل واستقلال الأمة التي ينتسب إليها، وينتهج سياسة رصينة وراسخة ومدروسة من أجل العقود القادمة.

كان هناك عاملان متضادان شاركا في تأسيس جمهورية أذربيجان المستقلة:

1) طاقة الاستقلال القومي القوية (لكن كانت عاطفية في السنوات الأولى).

2) التخريبات الدولية والداخلية الموجهة ضد هذه الطاقة.

ومن الصعب القول بأي هذين العاملين كان أقوى في نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات. ولكن استطاعت القيادة الوطنية القوية بقيادة "حيدر علييف" اعتبارًا من منتصف التسعينيات التصدي للتخريبات الداخلية والخارجية.

رسخ الزعيم القومي حيدر علييف الاستقرار الداخلي، وأسس أول دستور، وبرلمان، والهيئات التنفيذية لأذربيجان المستقلة، ورسخ التطور الطبيعي للعلاقات الدولية. لقد حدد المستقبل الاقتصادي لجمهورية أذربيجان بإبرام اتفاقيات البترول، وتحقيق مشروع تصدير البترول الأذربيجاني بصفة عامة إلى الأسواق العالمية. وانفتحت آفاق رحبة للانضباط الاجتماعي والجماعي للدولة.

وعقب وفاة "حيدر علييف" بدأ استكمال مشروعات التنمية التي أرسى قواعدها هذا الزعيم القومي بنجاح (وبوتيرة أسرع) وذلك على يد الزعيم الجديد "إلهام علييف". وأصبحت القدرة المادية للدولة في مستوى غير مسبوق، وتحسن بشكل كبير النمط الحياتي للشعب، وتغير شكل المدن والقرى. وبدأت جمهورية أذربيجان في استضافة الاحتفالات الدولية والتمثيل في المنظمات الدولية.

[3] بختيار وهاب زاده (1925م – 2009م): شاعر أذربيجاني شهير، وأستاذ في الأدب الأذربيجاني ويتميز بأشعاره الوطنية. (المترجم)

[4] أبو الفاز إيلتشي بك (1938م – 2000م): سياسي ورجل دولة وثاني رئيس جمهورية لأذربيجان بعد حصولها على الاستقلال عام 1991م. (المترجم)

الزعيم القومي الأذربيجاني حيدر علييف

كان لإحياء إيديولوجية الهوية الأذربيجانية دورٌ مهم في تأسس دولة أذربيجان المستقلة. وبدأ تنفيذ هذه الإيديولوجية بشكل متوال والتي اكتسبت نفوذًا رسميًا في سنوات الجمهورية الشعبية الأذربيجانية التي تشكلت في مطلع القرن العشرين. وكانت تراقب في فترة الاتحاد السوفيتي. وتعدى الأمر أكثر من ذلك حيث خرج هذا الأمر من المحلية وتحول إلى عامل معنوي يوحد أذربيجاني العالم. ولم تظل إيديولوجية الهوية الأذربيجانية مجرد مظهر رمزيً ورومانسيً. بل اتسعت علاقات أذربيجان مع العالم التركي، والعالم الإسلامي والعالم بأسره، ويستمر هذا في الاتساع حاليًا.

ربما كان أكبر عمل تخريبي ضد الشعب الأذربيجاني عشية انهيار الاتحاد السوفيتي وحصول أذربيجان على استقلالها هو التدخل الأرميني اعتبارًا من نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين (في الأصل من مطلع القرن التاسع عشر أي منذ احتلال شمال أذربيجان من قبل روسيا)، بدأ الأرمن في الاستيطان في الأراضي الأذربيجانية، وفي احتلال أراضيها من خلال بعض الادعاءات الكاذبة. حتى وصل الأمر إلى تأسيس دولة أرمينيا على أراضي أذربيجان. ولم يكتف الأرمن بهذا، بل بدأوا من خلال مساعدة روسيا (وكذلك بعض حلفائهم المستعمرين) في إظهار جميع أشكال العدوان، وفي ارتكاب المجازر ضد الشعب الأذربيجاني الذين هم السكان الأصليون للمنطقة. ولاسيما حركات قُطاع الطرق الأرمن البلاشفة التي اتخذت شكلاً جماعيًا وحشيًا، ويمكن القول إنهم أفلتوا من العقاب. وعقب الحرب العالمية الثانية، طُرد الأذربيجانيون – السكان المحليون-رسميًا من الدولة التي أسست كذبًا (أرمينيا)، وتم تسكينهم في الأماكن المختلفة من جمهورية أذربيجان. أما نهاية فترة الثمانينيات وبداية التسعينيات، فقد طُرد الأذربيجانيون الباقون في أرمينيا، وتشرد السكان المحليون من خلال احتلال قراباغ الجبلية، والمناطق المحيطة بها.

الرئيس الأذربيجاني إلهام علييف

على الرغم من تنوع التخريبات وشدتها تلك التي كانت موجهة ضد استغلال دولة أذربيجان، فقد ازدادت إرادة الشعب (والزعيم القومي العام أيضًا) قوة وصلابة. وكان أعداء الشعب الأذربيجاني يتوهمون أن الأذربيجانيين المطرودين من أرمينيا وقراباغ الجبلية، والمناطق المحيطة بها، سوف يتسببون في حدوث اضطرابات في دولة أذربيجان المستقلة حديثًا آنذاك، وفي الصراعات الداخلية، وأن هذا بدوره سوف يؤدي إلى أن تفقد أذربيجان استقلالها وتنقسم. لهذا الغرض، كان يتم تشجيع الانفصالية العرقية في أذربيجان. ولكن قوة الشعب أظهرت نفسها مرة أخرى. إن أذربيجان دولة لها ثِقل خاص في المنطقة حاليًا، وتزداد مكانتها الدولية بسرعة، ولا يمكن الاستهانة بمقدراتها.

يضم الشعب أو الأمة الأذربيجانية في تركيبها بجانب أتراك أذربيجان كل من طوائف "اللازجي"، و"الروس"، و"الطاليش"، و"أتراك آهيسكا"، و"الأوار"، و"الأكراد"، و"الصاخور"، و"التات"، و"اليهود"، و"الأودي"، و"الإينجيلوي"، وغيرهم. وتمثل هذه الطوائف أذربيجان بصفة عامة بجانب حفاظها على خصائصها القومية.

ثانيا: جمهورية أذربيجان وأذربيجانيو العالم

إن الشعب الأذربيجاني هو مصدر المُثل العليا القومية لذاته، وصانعها وحاملها. ويحق تمامًا لكل أذربيجاني بغض النظر عن المكان الذي يعيش فيه (سواء داخل جمهورية أذربيجان وسواء في أذربيجان التاريخية، أو خارج أذربيجان) أن ينظر إلى جمهورية أذربيجان– دولة الأذربيجانيين المستقلة– بوصفه مدافعًا سياسيًّا للمُثل العليا.

وبالطبع، فإن الحقوق القومية للأذربيجانيين المقيمين في إيران وداغستان وجورجيا محدودة مقارنة لما يتمتع به المواطنون الأذربيجانيون المقيمون بجمهورية أذربيجان المستقلة. ولا سيما أذربيجاني إيران الذين يشكلون نصف عدد سكان إيران تقريبًا؛ فهم محرمون من التعلم بلغتهم (أي اللغة الأذربيجانيين)، وهذا يؤثر بالطبع سلبًا على نفسيتهم وسلوكهم ومستوى الوعي القومي الخاص بهم، وكذلك يوَّلد لديهم إحساسا معقدًا بالدونية.

إن حرمان شعب تعداده حوالي خمسين مليون من وحدته السياسية والجغرافية من خلال وجوده ضمن دول مختلفة يؤثر سلبيًّا على معنويات هذا الشعب واتحاده الأيديولوجي. وعلى الرغم من ذلك، فإن وجود المُثل التاريخية التي أسست جمهورية أذربيجان تحول دون الخلل في هذا الاتحاد أو تشويهه. وتدل إقامة المنتديات والعديد من الاجتماعات للأذربيجانيين في أذربيجان وفي مختلف دول العالم في الآونة الأخيرة عقب الاستقلال على أن الشعب الأذربيجاني مهما واجهه من العوائق الجسام، فلن يفقد مطلقًا وحدته المعنوية الروحية. ويُتيح اندماج الشعب الأذربيجاني في العالم بشكل متنال وقوي، وكذلك الاهتمام الشامل بأذربيجان من قبل العالم إلى استنتاج

أنه اقترب الوقت الذي سوف يتحد فيه الشعب الأذربيجاني اتحادًا حقيقيًّا، لأن هذا مطلبًا لا يتطلبه فقط الاحتياج الداخلي للشعب، بل تتطلبه المُثل العليا للعالم المتعولم الذي أصبح مثل "القرية الكبيرة".

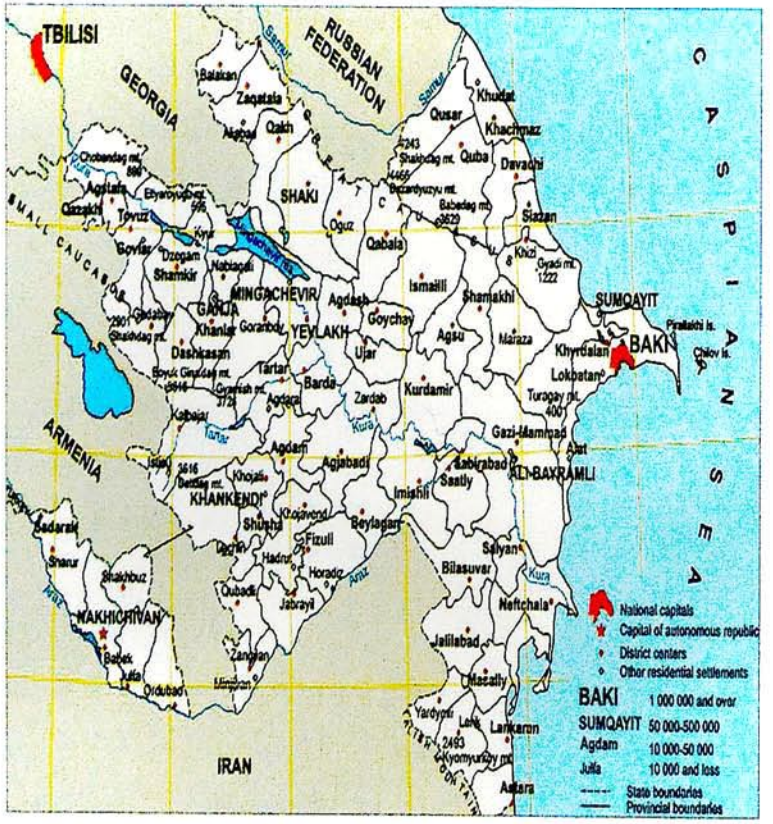

خريطة أذربيجان المعاصرة

إن قوة الشعب الأذربيجاني والتفاف الأذربيجانيين معنويًّا وروحيًّا التفافًا وثيقًا حول الدولة المستقلة أدى إلى ظهور سؤال يطرح نفسه في الوقت الحالي: من هو الأذربيجاني؟ أو على من يجب أن نطلق اسم "أذربيجاني"؟ ... ويُجيب عن هذا السؤال التاريخ والعصر والزمن الذي معني بذلك كما يلي:

1) الأذربيجانيون ذو الأصل التركي.

2) الأعراق مختلفة الأصل (القوقاز، إيران، وغيرهما) التي دخلت ضمن الشعب الأذربيجاني.

3) في النهاية، كل شخص يعتبر نفسه أذربيجانيًا. وليس الشعب الأذربيجاني مجرد شعب يفخر بمُثله العليا القومية، بل يمتلك أيضًا أحاسيس عالمية كبرى. ويستطيع اليوم أي إنسان ينتسب لأي أمة أو دين العيش براحة تامة في جمهورية أذربيجان، ويحقق كل ما يتمناه، وهذا يعني أن الشعب الأذربيجاني شعب متحضر بطبيعته.

***

وبهذا تستمر المرحلة الثالثة من تاريخ الشعب الأذربيجاني، وسوف تستمر هذه المرحلة التي بدأت بالحصول على الاستقلال حتى يتم القضاء على القوى التي تعرقل الوحدة السياسية والمعنوية واتحاد الشعب الأذربيجاني.

الخاتمة

يوضح استعراض تاريخ الشعب الأذربيجاني أو "سيرته الذاتية" أن هذا الشعب أحد شعوب العالم التي مرت بتاريخ حافل بالإنجازات. وقد شكّل الأذربيجانيون من خلال انقسام العرق التركي، وضم بداخله أعراقًا مختلفة من القوقاز وإيران بشكل أو بآخر. عاش الشعب الأذربيجاني عصر نهضة قومية عامة متكاملة نهاية القرون الوسطى وبداية العصر الحديث، وانقسم هذا الشعب إلى قسمين "شمالي وجنوبي": انضم القسم الشمالي إلى روسيا، والقسم الجنوبي إلى إيران.

لقد خضعت أذربيجان بوصفها دولة تقع في ملتقى الثقافة الشرقية والغربية معًا تحت تأثير نمط الحياة بكل من هاتين الثقافتين.

واستوعب الشعب الأذربيجاني الأفكار التقدمية للعالم من خلال كبار المفكرين في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ونهضوا للنضال بالوسائل الديموقراطية في سبيل تحقيق مُثله العليا، ومصالحه، وأسسوا أول جمهورية في الشرق.

وعلى الرغم من أن هذه الجمهورية (أي جمهورية أذربيجان الديمقراطية الشعبية 1918م – 1920م) لم تستمر طويلاً، فالشعب الأذربيجاني الذي خطا بصدق خطوات نحو إقامة دولة ديمقراطية (ومستقلة) قد أسس في نهاية الأمر دولته المستقلة تقريبًا في ربع مساحة أراضيه التاريخية تحت قيادة الزعيم القومي العام "حيدر علييف" في نهاية القرن العشرين. وتعد أذربيجان المستقلة التي تشمل خُمس عدد الأذربيجانيين الذين هم أكثر من خمسين مليون مصدر فخر لكل أذربيجاني، وحامي المُثل العليا القومية ومُلهمها.

أما المُثل العليا القومية فهي عبارة عن الوحدة السياسية والاستقلال الذي هو حق أصيل للشعب الأذربيجاني.

إن الشعب الأذربيجاني جزء من العالم التركي من الناحية العرقية، ومن العالم الإسلامي من الناحية الدينية، ومن العالم عامة من الناحية الإنسانية. وقد أنجز بنجاح "المشروعات" التي تم استهدافها تحت قيادة الزعيم القومي "حيدر علييف".

وبهذا ينقسم تاريخ الشعب الأذربيجاني إلى ثلاث مراحل:

1- مرحلة التشكيل والتكوين (من العصور الأولى من الميلاد حتى نهاية العصور الوسطى أي حتى بداية العصر الحديث).

2- الاستقلال القومي، عصر النضال من أجل الاتحاد (من نهاية العصور الوسطى أي من بداية العصر الحديث حتى نهاية القرن العشرين).

3- الاستقلال القومي عصر تنفيذ المُثل العليا للوحدة القومية أو الاحتفال بها (نهاية القرن العشرين وعقب مطلع القرن الحادي والعشرين).

نبذة عن المترجم

د/ أحمد سامي العايدي

• تخرج في كلية الآداب جامعة عين شمس – قسم اللغات الشرقية وآدابها.

• حصل على درجة الدكتوراه من جامعة باكو الحكومية بأذربيجان.

• نشر أكثر من ثلاثين مقالة باللغات الأذربيجانية والعربية والتركية حول الأدب الأذربيجاني والتركي، ولاسيما الرواية الأذربيجانية المعاصرة، وذلك في المجلات العلمية المحكمة والصحف الأدبية المتخصصة بأذربيجان وتركيا ومصر.

• شارك في العديد من المؤتمرات الدولية في مصر وتركيا وأذربيجان.

• صدر له العديد من الترجمات مثل ترجمة السيرة الشعبية الأذربيجانية (قاتشاق نبي)، ورواية (المخطوط المبتور)، وكتاب (خوجالي: مذبحة القرن العشرين)، ورواية (دنيا الناس)، وكتاب (ملحمة ده ده قورقود المستشرق الألماني العالم هاينريش فريدريش فون ديتس ٢٠٠)، وكتاب "مختارات من القصة الأذربيجانية المعاصرة" كلها عن اللغة الأذربيجانية، وكتاب "رؤية السلام العالمي" وكتاب "الثورة الصامتة" عن اللغة التركية.

• يعمل أستاذا مساعدا بكلية الآداب جامعة عين شمس – قسم اللغات الشرقية وآدابها.

• ويعمل حاليا ملحقا ثقافيا ومدير مركز مصر للعلاقات الثقافية والتعليمية بسفارة مصر بأذربيجان.

• البريد الإلكتروني للمترجم: ahmedsami79@yahoo.com

الفهرس

مقدمة المترجم 3
مقدمة المؤلف 6

الفصل الأول
تشكُّل الشعب الأذربيجاني 10
أولا: الأتراك: التقسيم وإعادة التشكيل 13
ثانيا: تتريك أذربيجان وبداية تشكُّل الشعب الأذربيجاني .. 17
ثالثا: القبشاق سلاجقة الأوغوز، وأذربيجان 26

الفصل الثاني
نضال الشعب الأذربيجاني في سبيل الحرية (الاستقلال)
القومي 34
أولا: النهضة الأذربيجانية ونتائجها 37
ثانيا: الحركة الديمقراطية القومية ونضال الشعب
الأذربيجاني في سبيل الوحدة القومية واستقلال الدولة 41

ثالثا: الجمهورية الشعبية الأذربيجانية ومُثل الدولة لدى
الشعب الأذربيجاني 46

الفصل الثالث
إقامة دولة أذربيجان المستقلة وانتصار المُثل العليا
للوحدة الوطنية وهوية الشعب الأذربيجاني 51
أولا: الزعيم القومي، الشعب الأذربيجاني، جمهورية
أذربيجان 54
ثانيا: جمهورية أذربيجان، وأذربيجانيو العالم 60

الخاتمة 63
نبذة عن المترجم 65

الشعب الأذربيجاني
موجز السيرة والمسيرة

مركز الترجمة الأذربيجاني
باكو - ٢٠١٧

:التصميم
عاقل أمراهوف

مركز الترجمة الأذربيجاني
العنوان: 74 شارع عليمردان بيك توبوتشوباشوف

Çapa imzalanıb: 31.03.2017. Kağız formatı: 60x90 1/16
Ofset çapı. Fiziki çap vərəqi: 4,25. Sifariş 6. Tiraj: 1000

Təqdim olunmuş hazır fayldan
«Aspoliqraf LTD» MMC-nin mətbəəsində
çap olunmuşdur.
Ünvan: Bakı, AZ 1052, Fətəli Xan Xoyski küç., 121B

تركت مسيرة الشـــعب الأذربيجاني عبر العصـــور سيرة ذاتية خالدة مزدانة بالأحداث الجسام وشخصت من خلالها عبقريته التي صقلتها أحداث الزمان ووقائع المكان. وهذا الكتب الموجز يقدم لمحات من هذا التاريخ الثري للشعب الأذربيجاني يبدأ بالتكوين وينتهي بإحياء الوعي القومي، ومعبرًا عن إسهامات الشـــــــعب الأذربيجاني في تاريخ العالم المعرفي والثقافي، والدور الكبير للشعب الأذربيجاني في خدمة العالم الإسلامي قديمًا وحديثًا.